الآداب | مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات والبحوث الإنسانية
(EISSN): 2707-5192 ISSN: 2616-5864

العدد الرابع عشر
14 مـــارس 2020

المدرسة العقلية وردها لبعض أحاديث الآحاد بحجة مخالفتها للعقل

د. هيفاء بنت عمر بن إبراهيم باشهاب*

ملخص:

ظهر كثير من الانحرافات التي وقع فيها بعض من الناس وذلك في: تقديم العقل على النقل، ومن ذلك المدرسة العقلانية التي بالغت في حد العقل ومكانته حتى جعلته في منزلة الإله، وهو الذي يحكم كل شيء ويوجه كل شيء، حتى جعلت العقل حاكمًا على الشرع، وهذا من أعظم الفساد وأكثر المزالق التي ضلت فيها فرق كثيرة، والتي حينما ابتليت بها الأمة وقع فيها من الخلل ومن الزيغ بل ومن الكفر والخروج من الملة ما هو مشهود له في وقائع كثيرة.

من هنا يأتي هذا البحث ليجيب عن التساؤلات التالية:

ما موقف الإسلام من العقل؟ وماحكم رد أحاديث الآحاد لمخالفتها للعقل؟

الكلمات المفتاحية: المدرسة العقلية – أحاديث الآحاد – مخالفة العقل.

Rational School and its Response to some Isolated Hadiths on the pretext of violating the Mind

Dr. Haifa bint Omar bin Ibrahim Bashab

Abstract:

There have been many deviations in which some of the people committed, that is introducing the mind over the *naqel*, including the school of rationality that exaggerated the limit of reason and

* أستاذ مساعد - قسم الكتاب والسنة - كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى - مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية.

status until it brought it to be in the rank of God, or amounted to be the one who rules everything and directs everything. Even it made the mind as a ruler on the Sharia, and this is one of the greatest corruption and the most pitfalls that many factions have lost their way, which when plagued the nation the imbalance and aberration and even disbelief occurred in and out of the sect what is known in many occurrences. The issue of rationality roams minds and its misleading is serious. For this argument, this research comes to answer the following questions:

What is the attitude of Islam towards the mind? And tightly to answer the isolated Hadiths for violating the mind?, and aimed to emphasize the Islam care of reason, and give it the status that truly deserves, and to alert Muslims to the danger of these ideas, and the importance of returning to the Lord's righteous approach that pleases God and His Messenger, and writes happiness in worldly life. And the Hereafter, refuting heresies and uncovering suspicions, and defending the Prophet's Sunnah, and correcting errors, and returning the nation to the curriculum of the Sunnah, the approach of our good ancestor, and defending some Hadiths that the mental school rejected in the past and recently for violating the mind as they claim, and to indicate their error in it.

Key Words: Mental School, Isolated Hadiths, Mind Violation.

المقدمـة:

إن السنة النبوية وعلومها أشرف العلوم بعد كتاب الله تعالى، والاشتغال بها من أشرف الأعمال في الدنيا والآخرة؛ لأن السنة النبوية فيها البيان الواضح الشافي المبين لما في القرآن الكريم، ويكمن شرف هذا العلم في شرف المنسوب إليه وهو الرسول ﷺ، وفي شرف موضوعه وهو أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته الخُلُقية والخَلْقية وسيرته العطرة سواء كانت قبل البعثة أم بعدها، وفي شرف غايته وهي معرفة حديثه وتمييز صحيحه من سقيمه والفوز بسعادة الدارين الدنيا والآخرة؛ ففي الدنيا بالعلم والعمل والاتباع، وفي الآخرة بالأجر والمثوبة والجزاء الحسن من الله تعالى.

لقد ظهر كثير من الانحرافات التي وقع فيها بعض الناس، ومن ذلك: تقديم العقل على النقل، الذي تبنته المدرسة العقلانية التي بالغت في حد العقل ومكانته حتى جعلته في منزلة الإله، وهو الذي يحكم كل شيء ويوجه كل شيء، حتى جعلت العقل حاكمًا على الشرع، وهذا من أعظم الفساد وأكثر المزالق التي ضلت فيها فرق كثيرة، والتي حينما ابتليت بها الأمة وقع فيها من الخلل والزيغ بل ومن الكفر والخروج من الملة ما هو مشهود له في وقائع كثيرة[1].

وقد رد علماء أهل السنة على هذه القضية في ردود كثيرة، كان أوسعها وأعظمها وأدقها كلام الإمام ابن تيمية في: (**درء تعارض العقل والنقل**). وكتاب (**الأنوار الكاشفة**، لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة)، لعبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، وكتاب: (**الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام**): للشيخ الألباني، وغيرهم من العلماء من أمة محمد ﷺ.

مشكلة البحث:

تتضح مشكلة البحث في الإجابة على التساؤلات الآتيه:

- ما موقف الإسلام من العقل؟
- ماحكم رد أحاديث الآحاد لمخالفتها للعقل؟
- ما المراد بالمدرسة العقلية؟
- متى كانت نشأة المدرسة العقلية؟
- ما أبرز معالم المدرسة العقلية؟
- ما علاقة المدرسة العقلية الحديثة بالمدرسة العقلية القديمة؟
- ما موقف العلماء من رد المدرسة العقلية قديمًا وحديثًا للسنة النبوية؟

أهداف البحث:

- التأكيد على عناية الإسلام بالعقل، وإعطاؤه المكانة التي هو جدير بها.

- تنبيه المسلمين إلى خطر هذه الأفكار[2]، وأهمية العودة إلى المنهج الرباني القويم الذي يرضي الله ورسوله ﷺ، ويكتب للناس السعادة في كنفه في الدنيا والآخرة.
- رد البدع وكشف الشبهات [3]، والذب عن السنة النبوية، وتصحيح الأخطاء، ورد الأمة إلى منهج السنة القويم، منهج سلفنا الصالح.
- الذب عن الأحاديث التي ردتها المدرسة العقلية قديمًا وحديثًا لمخالفتها العقل -كما يزعمون-، وبيان خطئهم في ذلك.

سبب اختيار الموضوع:

- المشاركة في صد الهجمات على السنة، وإيقاف زحفها، مع من بذلوا جهودًا في الدفاع عن السنة.
- بيان أن السنة حجة لا نزاع في ذلك بين المسلمين (متواتر - وآحاد)، وأن من أنكر حجيتها بشروطها المعروفة في الأصول كفر، وخرج عن دائرة الإسلام.
- بيان أن العقل السليم لا يمكنه مخالفة النقل الصحيح.
- كشف القناع عن أساليب وحقيقة أعداء السنة من أهل الأهواء والبدع قديمًا، من خوارج، وشيعة ومعتزلة، ومن أحيا فكرهم في العصر الحديث من مستشرقين وعقلانيين.
- التعرف على حقيقة المدرسة العقلية الحديثة وصلتها بالمدرسة العقلية القديمة.

أهمية موضوع البحث:

- أنه يمثل قضية مهمة من أهم القضايا التي امتد خطرها إلى رد جزء مهم من السنة النبوية وهو خبر الآحاد لأنه يتعارض مع العقل كما يزعمون.
- ظهور اتجاهات في الفكر الإسلامي تحمل شعار الدعوة، وتتبنى فكرة العقلانية باسم الإصلاح والتجديد، وتأثر عدد من أبناء المسلمين بفكرهم فأردت المساهمة.

الدراسات السابقة:

وقفت - بعد البحث - على مجموعة من الرسائل والأبحاث في هذا الموضوع، ومنها:

- **موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف**، شفيق بن عبدالله شقير، رسالة ماجستير.

- **موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية**، الأمين الصادق الأمين، وضح في الباب الأول منها: موقف المدرسة العقلية القديمة (المعتزلة) من السنة النبوية، فتناول فيه موقفها من العقل وعلاقة ذلك بالأصول الخمسة عندهم، وأثر ذلك في رد الأحاديث الصحيحة، وفي الباب الثاني: وضح موقف المستشرقين من السنة النبوية، وصلة المستشرقين بالفكر الإسلامي وأثر تلك الصلة في إثارة الشبهات حول السنة النبوية. وخصص الباب الثالث بموقف المدرسة العقلية الحديثة من السنة النبوية، وتناول فيه علاقة المدرسة العقلية الحديثة بالمدرسة العقلية القديمة، وأثر تلك العلاقة في رد الأحاديث النبوية، ثم ذكر تأثر المدرسة العقلية الحديثة بالمستشرقين، وأثر ذلك في إثارة الشبه حول السنة.

- **الاتجاهات العقلية الحديثة**، ناصر العقل، رسالة ماجستير، اشتملت الرسالة على أربعة فصول، عرف في الفصل الأول العقل والعقلانية في اللغة والاصطلاح، ثم عرف الاتجاهات العقلانية الحديثة، وفي الفصل الثاني، ذكر نبذة عن المدرسة العقلية القديمة، والعلاقة بين الاتجاهات العقلية القديمة والحديثة، وتاريخ المدرسة العقلية الحديثة، وأهم المؤثرات الأجنبية في المدرسة العقلانية، ومزاعم الاتجاهات العقلانية في الدين، وفي عقيدة الإيمان بالغيب، وفي توحيد الربوبية والألوهية، والأسماء والصفات، وغيرها من موضوعات العقيدة، وفي الفصل الثالث: ذكر آراء المدرسة العقلية الحديثة في كل من: الدين والتوحيد، وفي الفصل الرابع: تناول منهج الاتجاهات العقلانية الحديثة في دراسة الإسلام إجمالًا، وختم بأثر المفاهيم العقلانية فيما يسمى بالفكر الإسلامي الحديث، وكان تركيزه على أثرهم على العقيدة، ولم يتطرق، لموقفهم من السنة النبوية.

- **منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير**: للأستاذ الدكتور: فهد الرومي، دفعه للكتابة في الموضوع جِدته، ولكون أصحاب هذه المدرسة يعطون العقل مرتبة تضاهي مرتبة الوحي، ولكون رجالها تحوم حولهم الشبهات عند بعض الناس وعند بعض العلماء، فأحب أن يكشف أمرهم، ثم ذكر في الدراسة الثانية في مصر المدرسة التي سلكت المنهج العقلي كمدرسة جمال الدين الأفغاني، وتلميذه محمد عبده، ومهد لهذه الدراسة بالحديث عن نشأة التفسير وتطوره، ومن ثم نشأة المنهج العقلي القديم في تفسير القرآن الكريم، ثم بيان منهج المدرسة العقلية القديمة (المعتزلة) بشيء من التفصيل، ليبين الصلة بين المدرستين العقليتين القديمة والحديثة، ثم خلص إلى أن لهذه المدرسة العقلية أبعاد ثلاثة:

1- أن هذه المدرسة أعطت العقل أكثر من حقه وكلفته بما لا يطيق، ورفعت من قيمته وضخمت حجمه، حتى ساوته بالوحي، بل قدمته عليه، وقدمت ما زعمته من أحكامه على أحكام الوحي.

2- قامت هذه المدرسة بتأويل حقائق العقائد الإسلامية بما يتمشى مع الأحكام العقلية من جهة، ومكتشفات الحضارة الغربية والنظريات العلمية الغربية من جهة أخرى، وفي سبيل ذلك قامت بتأويل المعجزات والخوارق وإنكار بعضها، إذا لم يمكن قلب حقيقته بما يتامشى مع البعد الفكري.

3- تبرير تناول الحضارة الغربية ومجاراتها في مدنيتها الزائفة والتحوير من الداخل لإعطاء السند الفكري والدعم الديني لمعطيات الحضارة الغربية، وتقريب الهوة التي تفصل بين الغرب والمسلمين على حساب كثير من الجوانب الإسلامية التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية [4].

- **ملامح المدرسة العقلية الحديثة في التفسير**: د. عبدالله شحاته، رسالة ماجستير.

- **أصول المدرسة العقلية الحديثة**: د.عايض بن عبدالله بن عبدالعزيز الشهراني. أطروحة دكتوراه.

- **منهج المدرسة العقلية الحديثة في مصر** في كتابة السيرة النبوية دراسة تقويمية، أطروحة دكتوراه: محمد عبدالله الغنام. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ.

ويتضح من عنوان بحثي هذا أنه سوف يتناول:

(**رد المدرسة العقلية لبعض أحاديث الآحاد لمخالفتها للعقل**)، دراسة حديثية، مع ذكر نماذج من أحاديث الآحاد التي ردتها المدرسة العقلية لمخالفتها للعقل.

حدود البحث:

- سيقوم هذا البحث بإلقاء الضوء على المدرستين العقليتين القديمة والحديثة، وسيقتصر على أمور منها [5]:
- حصر واستقراء كلام العلماء في بيان المراد بالمدرسة العقلية، وبيان علاقة المدرسة العقلية الحديثة بالمدرسة القديمة.
- تناول نماذج من أحاديث الآحاد التي ردت من قبل المدرسة العقلية، ومحاولة الرد عليها.

منهج البحث:

- جمع المادة العلمية من مصادرها قدر الإمكان، مع الاستفادة من المؤلفات المعاصرة والرسائل العلمية، حتى يتم جمع كل ما يتعلق بالموضوع.
- الاستفادة من مواقع الإنترنت في إثراء الموضوع وتغطية جوانبه.
- ذكر أقوال العلماء المختلفة في هذه القضية، مع مراعاة توثيق المعلومات وعزوها إلى مصادرها.
- دراسة نماذج من أحاديث الآحاد التي ردتها المدرسة العقلية لمخالفتها العقل.
- اعتمدت في مناقشة أراء العقلانيين في ردهم لأحاديث الآحاد على الكتاب والسنة، ومنهج أهل السنة والجماعة؛ فهو الأسلم.

المناهج العامة:

اتبعت المناهج العلمية الآتية:

- **المنهج الاستقرائي:** حيث جمعت المادة العلمية الخاصة بالبحث من خلال ما اطلعت عليه من الكتب القديمة والحديثة التي تناولت الموضوع.
- **المنهج التحليلي:** وذلك في توضيح موقف العقلانيين من أحاديث الآحاد ومحاولة الرد عليهم.
- **المنهج الاستنباطي:** لاستنتاج أسباب انحراف أصحاب المدرسة العقلية عن الصواب ومحاولة تناول كل ما يتعلق بذلك.
- **المنهج النقدي:** بمناقشة أقوال العقلانيين في ردهم للأحاديث.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، ثم الخاتمة والكشافات:

المقدمـة: **وتتضمن مايأتي:**

- مشكلة البحث.
- أهداف البحث.
- سبب اختيار الموضوع.
- أهمية الموضوع.
- الدراسات السابقة.
- حدود البحث
- منهج البحث.
- خطة البحث.

خطة البحث: اقتضت طبيعة البحث اشتماله على مقدمة، وتمهيد، وفصلين يشتملان على عدة مباحث، وهي كالآتي:

أما التمهيد: فيشتمل على

أولًا: العقل ومكانته في الإسلام.

ثانيًا: خبر الآحاد، تعريفه، حجيته.

الفصل الأول: الدراسة النظرية

المدرسة العقلية، نشأتها، أبرز معالمها، وفيه أربعة مطالب:

المبحث الأول: ماهية المدرسة العقلية.

المبحث الثاني: نشأة المدرسة العقلية.

المبحث الثالث: أبرز معالم المدرسة العقلية.

المبحث الرابع: علاقة المدرسة العقلية القديمة بالمدرسة العقلية الحديثة.

الفصل الثاني: الدراسة التطبيقية

(نماذج لبعض أحاديث الآحاد التي ردت بحجة مخالفتها للعقل)

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: حديث الذبابة.

المبحث الثاني: حديث سحر النبي ﷺ.

المبحث الثالث: حديث نزول عيسى عليه السلام.

المبحث الرابع: حديث الجساسة.

الخاتمـة: وفيها خلاصة البحث وأهم النتائج.

الهوامش والإحالات.

التمهيد:

أولًا: العقل[6] ومكانته في الإسلام

العقل هو هبة الله ومنحته للإنسان، أكرمه الله به وفضله على سائر المخلوقات، فكان العقل له كالمفتاح الذي يفتح به أبواب الملكوت ويدخل ساحة الإيمان بالله الذي سخّر للإنسان كل ما في السموات والأرض. لذلك امتن الله تعالى على الناس بهذا العقل، وجعله موضوع المسؤولية، قال تعالى:

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[7].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[8].

ولذلك جعل الله تعالى العقل مناط التكليف وسببًا له، فالخطاب الشرعي لا يتوجه إلا للعاقل؛ لأن العقل أداة الفهم والإدراك، وبه تتوجه الإرادة إلى الامتثال؛ ولذلك قال بعض السلف: (العقل حجة الله على جميع الخلق)[9].

ومن هنا جاءت أحاديث النبي ﷺ، ترفع التكليف والمؤاخذة:

- عمن فقدوا مناط التكليف وهو العقل، بسبب الجنون أو ما يأخذ حكمه.

- فعن عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: **«رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ، عَنِ الْمَجْنُونِ الْمَغْلُوبِ عَلَى عَقْلِهِ حَتَّى يَفِيقَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ»**[10].

وفي لفظ آخر: عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **"رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ"**[11].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (عدم العقل والتمييز لا يحمد لحال من جهة نفسه، فليس في كتاب الله ولا سنة رسوله مدح وحمد لعدم العقل والتمييز والعلم، بل قد مدح الله العمل والعقل والفقه، ونحو ذلك في غير موضع وذم عدم ذلك في مواضع)[12].

وقد مدح الله وأثنى في كتابه العزيز على أصحاب العقول السليمة التي أحسن أصحابها استخدامها فهداهم بها إلى الحق، تلك العقول التي تتدبر في خلق الله وتتفكر في الملكوت، تتلمس فيه قدرته وربوبيته لجميع الخلق، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۞ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[13].

ولذلك شرع الإسلام من الأحكام ما يحافظ فيها على العقل؛ باعتباره واحدًا من الضروريات الخمسة، التي أُنزلت الشرائع للمحافظة عليها، وهي: الدين، والنفس، والعرض، والعقل، والمال.

فأوجب الإسلام العلم، وكل ما به قوام الحياة، وهي تعود على العقل بالحفظ، وحرم كل ما يُذهب العقل أو يزيله؛ كالخمر والمخدرات وسائر المسكرات.

ويحث الإسلام العقل على العمل فيما خُلق له، وفي المجال الذي يستطيعه، فلا يجوز إهماله ولا تعطيله؛ فهو يحث على النظر والتدبر والتأمل والتفكر في آيات الله تعالى.

ويرسم الإسلام للعقل المنهج الصحيح للعمل والتفكير، ويرفع من أمامه العوائق والموانع التي تعطله عن وظيفته؛ كاتباع الظن والأوهام والخرافة، أو الخضوع لسيطرة العادات والتقاليد، أو تقليد الآباء.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[14].

ثم يحيل الإسلام على العقل في القضايا الكبرى الرئيسية؛ فهو يهدي إلى معرفة الله تعالى ووحدانيته، ويقيم الأدلة على صحة النبوة والبعث بعد الموت، فيكون إدراك هذه القضايا إدراكا كليًا عامًا وقبولها بالعقل[15]. وشواهد ذلك من القرآن والسنة وكلام العلماء كثيرة[16].

وقد يدفع هذا القول بعض الناس ليظن أن هذه العناية بالعقل والإعلاء لمكانته تبيح لنا أن نجعل منه مصدرًا نستقي منه العقيدة، أو نجعله حاكمًا عليها، يقبل منها ما يدركه، ويرفض ما لا يدركه أو ما لا يحيط به علمًا.

- يقول **سيد قطب**: (إن دور هذا العقل أن يتلقى عن الرسالة "الوحي"، ووظيفته أن يفهم ما يتلقاه عن الرسول... وليس دور العقل أن يكون حاكمًا على الدين ومقرراته من حيث الصحة والبطلان، والقبول أو الرفض، بعد أن يتأكد من صحة صدورها عن الله، وبعد أن يفهم المقصود بها، أي: المدلولات اللغوية والاصطلاحية للنص"[17].

ويؤكد هذا المعنى ويزيده وضوحًا، فيقول: إن العقل البشري ليس هو الذي يصنع مقومات التصور الإسلامي -كما هو الحال في الفلسفة- إنما هو الذي يتلقاها من مصدرها الرباني، ويدركها صحيحة، حين يتلقاها وهو متجرد من أية مقررات سابقة في هذا الباب - سواء من مقولاته الذاتية، أو من مقولات العقائد المحرفة، ولو كان لها أصل رباني- وعليه أن يتقيد فيما يتلقاه من ذلك المصدر الصحيح بالمدلول اللغوي أو الاصطلاحي للنص الذي وردت فيه هذه المقومات - بدون تأويل - ما دام النص محكمًا.

قال تعالى: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[18].

- وعَنْ عَلِيٍّ ﷺ، قَالَ: **لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ، وَقَدْ «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفَّيْهِ»**[19].

ومن ثم فإن محاكمة التصور الإسلامي أو محاكمة مقوماته التي يقوم عليها -ومنها ما هو غيب، كالملائكة والجن والقدر، والقيامة، والجنة والنار- إلى العقل البشري ومقرراته الذاتية، منهج غير إسلامي.

وهذا لا يعني أن التصور الإسلامي مناقض أو مصادم للعقل البشري. فإن مقرراته كلها نوعان: نوعٌ الإدراكُ البشري قادر على تصوره - عند تلقيه من المصدر الرباني-، ونوعٌ الإدراكُ البشري غير قادر على إدراكه، ولكن منطقه ذاته يسلم بأن طبيعته أكبر من حدود إدراكه، وأن "وجود" ما هو أكبر من حدود إدراكه داخل في قدرة الله تعالى، وأن إخبار الله عن وجوده هو بذاته برهان هذا الوجود، وبرهان صحة الإخبار. ومن ثم لا يقع التناقض أو التصادم أبدا، متى استقام العقل البشري والتزم حدوده!

وحيثما حاول العقل البشري أن يسلك طريقا غير هذا الطريق، جاء بالخبط والتخليط الذي لم يستقم قط في تاريخ الفكر البشري.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "العقل شرط في معرفة العلوم وكمال الأعمال وصلاحها، وبه يكمل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلا بذلك، لكنه غريزة في النفس وقوة فيها، بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس، وإذا انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها، وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أمورا حيوانية، قد يكون فيها محبة ووجد وذوق كما يحصل للبهيمة"[20].

فالعقل لن يهتدي إلا بالشرع، والشرع لا يتبين إلا بالعقل. فالعقل كالأُسّ والشرع كالبناء. ولن يغني أسٌّ ما لم يكن بناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن أسّ.

والعقل لا يهتدي إلى تفاصيل الشرعيات، والشرع تارة يأتي بتقرير ما استقر عليه العقل، وتارة بتنبيه الغافل وإظهار الدليل، حتى يتنبه لحقائق المعرفة، وتارة بتذكير العاقل حتى يتذكر ما فقده، وتارة بالتعليم، وذلك في الشرعيات وتفصيل أحوال المعاد، "فالشرع نظام الاعتقادات الصحيحة والأفعال المستقيمة، والدال على مصالح الدنيا والآخرة. ومن عدل عنه فقد ضل سواء السبيل"[21].

ولا يمكن أن يقع تعارض بين أحكام العقل الصريح والنصوص الشرعية الصحيحة - وفق المنهج الذي سلف في بيان حدود العقل -، وهذه المسألة التي وضع لها شيخ الإسلام ابن تيمية كتابه (درء تعارض العقل والنقل)، أو موافقة صحيح المعقول لصريح المنقول. وما قد يظهر من خلاف ذلك، فينبغي عند ظهوره ألا نعارض نصوص الشرع بما قد نراه بعقولنا وآرائنا وأقيستنا.

- قال محمد بن شهاب الزهري: "**من الله الرسالة، ومن الرسول البلاغ، وعلينا التسليم**"[22]. "وما أحسن المثل المضروب للنقل مع العقل، وهو أن العقل مع النقل كالعامي المقلد مع العالم المجتهد، بل هو دون ذلك بكثير؛ فإن العامي يمكنه أن يصير عالمًا، ولا يمكن العالم أن يصير نبيًا رسولا"[23].

- قال شيخ الإسلام **ابن تيمية**: والداعون إلى تمجيد العقل إنما هم في الحقيقة يدعون إلى تمجيد صنم سموه عقلًا، وما كان العقل وحده كافيًا في الهداية والإرشاد، وإلا لما أرسل الله الرسل[24].

ثانيًا: خبر الآحاد وحجيته

قسم العلماء الخبر من حيث طرق وصوله إلينا إلى قسمين رئيسين، هما: المتواتر والآحاد. وسنتكلم عن هذين القسمين وأنواعهما، وحجية كل نوع، ثم نرد ردًا موجزًا على الذين يفرقون بين المتواتر والآحاد في إفادة العلم.

أولًا: الخبر المتواتر[25]

تعريف الخبر المتواتر اصطلاحًا: هو: ما رواه جمع تحيل العادة تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه[26]، وشروط التواتر ما يلي[27]:

1- عدد كثير تحيل العادة اجتماعهم على الكذب.

2- أن تكون هذه الكثرة في جميع طبقات السند.

3- أن يكون مستند خبرهم الحس، كقوله سمعنا أو أخبرنا، أما إذا كان مستندهم العقل كحدوث العالم مثلا، فلا.

فإذا اختل شرط من شروط التواتر، في أي طبقة من طبقات السند فلا يسمى متواترًا، وإنما هو آحاد.

والمتواتر قسمان:

1- المتواتر اللفظي، وهو: ما تواتر لفظه ومعناه. ومن أمثلته:

حديث: "من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار"، فقد رواه نحو مائة من الصحابة كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري[28]، ونقله عنه السخاوي في فتح المغيث[29]. وقد جمع طرقه ابن الجوزي في مقدمة كتابه «الموضوعات» فجاوز تسعين طريقًا.

2- المتواتر المعنوي، وهو: ما تواتر معناه وإن لم يتواتر لفظه. ومن أمثلته:

" أحاديث رفع اليدين في الدعاء"، فقد روي عنه ﷺ أكثرُ من خمسين حديثًا فيه رفع يديه في الدعاء لكنها في قضايا مختلفة، وقد جمع طرقها الإمام السيوطي في كتاب سماه: (فض الوعاء في أحاديث رفع اليدين في الدعاء).

حكم الخبر المتواتر:

اتفقت كلمة العلماء على أنه يفيد العلم القطعي الضروري لا النظري، لذا لا يصح إنكاره ولا البحث عن استدلاله لأنه ثابت قطعًا.

قال الإمام الغزالي في المستصفى: «أما إثبات كون المتواتر مفيدًا للعلم فهو ظاهر، خلافًا للسُّمنِيَّة[30] حيث حصروا العلم في الحواس وأنكروا هذا. وحصرهم باطل...»[31]. وقال الشوكاني: «وقد اختلف في العلم الحاصل بالتواتر هل هو ضروري أو نظري؟ فذهب الجمهور إلى أنه ضروري، وقال الكعبي وأبو الحسين البصري [32]: إنه نظري...، والحق قول الجمهور،...» [33].

وقال الحافظ ابن حجر: «المتواتر، وهو المفيد للعلم اليقيني،... واليقين: هو الاعتقاد الجازم المطابق، وهذا هو المعتمد: أن الخبرَ المتواتر يفيدُ العلم الضروري، وهو الذي يضطر الإنسان إليه، بحيث لا يمكنه دفعه،...»[34].

وبهذا يتبين أن المتواتر يفيد العلم الضروري اليقيني عند عامة المسلمين خلافًا لبعض المعتزلة، وبعض الفرق الضالة، وهذه الإفادة اتفق عليها علماء الحديث والفقه والأصول والعقيدة وغيرهم.

ثانيًا: خبر الآحاد[35]

خبر الآحاد في الاصطلاح هو: ما لم يجمع شروط المتواتر المتقدمة أو أحدها، سواء كان رواته واحدًا أم عددًا [36].

وينقسم الآحاد باعتبار عدد طرقه ورواياته إلى ثلاثة أقسام:

1- الغريب، وهو: ما ينفرد بروايته شخص واحد في أي موضع وقع التفرد به من السند، وقد يعبر علماء الحديث عنه بالفرد.

ومثاله: حديث: **"إنما الأعمال بالنيات"**، فقد تفرد به عمر ﷺ عن النبي ﷺ، ولا يرويه عن عمر إلا علقمة بن وقاص، ولا يرويه عن علقمة إلا محمد بن إبراهيم التيمي، ولا يرويه عن التيمي إلا يحيى بن سعيد الأنصاري، ثم اشتهر الحديث.

2- العزيز، وهو: ما يرويه اثنان عن اثنين في كل طبقة، ولو كان ذلك في طبقة واحدة، ولا مانع من أن يزيد في بعض طبقاته، فالمدار تحقق التثنية في طبقة ما.

ومثاله ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة، والشيخان من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: **"لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"**، فقد رواه من الصحابة أنس وأبوهريرة، ورواه عن أنس اثنان: قتادة وعبدالعزيز بن صُهَيب، ورواه عن قتادة اثنان: شعبة وسعيد، ورواه عن عبدالعزيز اثنان: إسماعيل ابن عُلية وعبد الوارث، ثم رواه عن كل منهما جماعة.

3- المشهور، وسماه جماعة من الفقهاء: المستفيض، وهو: ما له طرق محصورة بأكثر من اثنين ولم يبلغ حد التواتر. وقد جعل الحنفية المشهور قسيم المتواتر والآحاد، وعرَّفوه بأنه ما كان آحادًا في القرن الأول، ثم تواتر بعد ذلك وكثرت رواته في القرنين الثاني والثالث[37].

ومثاله: حديث أنس ﷺ الذي رواه الشيخان: "**أن النبي ﷺ قَنَتَ شهرًا يدعو على رِعْل وذكوان**"، فقد رواه عن أنس: قتادة وعاصم وأبو مِجْلَز: لاحق بن حُميد، وأنس ابن سيرين، ورواه عن كل واحد جماعة.

حكم خبر الآحاد:

اختلفت آراء العلماء في الأخذ بخبر الآحاد إلى عدة أقوال وهي كالتالي:

- **القول الأول**: أن خبر الواحد الثقة يفيد العلم اليقيني مطلقًا[38].

وهذا مذهب داود الظاهري والحسين بن علي الكرابيسي والحارث بن أسد المحاسبي، ونقل عن الإمام أحمد في رواية، وحكاه ابن خويزمنداد عن الإمام مالك، وجزم به الإمام الشافعي في كتاب (اختلاف مالك)[39]. قال ابن حزم: «**وإذا صح هذا فقد ثبت يقينًا أن خبر الواحد العدل عن مثله مُبَلِّغا إلى رسول الله ﷺ حقٌّ مقطوعٌ به، موجب للعلم والعمل معا**»[40].

- وقال عبدالعزيز البخاري في شرح أصول البزدوي: «ذهب أكثر أصحاب الحديث إلى أن الأخبار التي حكم أهل الصنعة بصحتها توجبُ علمَ اليقين بطريق الضرورة، وهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل"[41].

- **القول الثاني**: أنه يفيد العلم اليقيني إذا احتفت به قرائن.

وهذا مذهب عامة أهل الحديث وكثير من محققي الفقه والأصول والكلام من حنفية ومالكية وشافعية وحنابلة وغيرهم.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر أنواع الخبر المحتفي بالقرائن، فقال في نزهة النظر: "والخبر المحتفي بالقرائن أنواع أشهرها:

1- ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما، مما لم يبلغ حد المتواتر، فقد احتفت به قرائن منها:

- جلالتهما في هذا الشأن.
- تقدمهما في تمييز الصحيح على غيرهما.

- تلقي العلماء كتابيهما بالقبول، وهذا التلقي وحده أقوى في إفادة العلم من مجرد كثرة الطرق القاصرة عن التواتر، إلا أن هذا مختص بما لم ينتقده أحد من الحفاظ مما في الكتابين، وبما لم يقع التجاذب بين مدلوليه مما وقع في الكتابين حيث لا ترجيح، لاستحالة أن يفيد المتناقضان العلم بصدقهما من غير ترجيح لأحدهما على الآخر.

وماعدا ذلك فالإجماع حاصل على التسليم بصحته، وممن صرح بإفادة ما أخرجه الشيخان العلم النظري: الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني، ومن أئمة الحديث: أبو عبدالله الحميدي وأبو الفضل بن طاهر وغيرهما.

1- النوع الثاني المحتفي بالقرائن: المشهور، قال الحافظ ابن حجر: (ومنها المشهور إذا كانت له طرق متباينة سالمة من ضعف الرواة والعلل، وممن صرح بإفادته العلم النظري الأستاذ أبو منصور البغدادي، والأستاذ أبو بكر بن فُوَرك وغيرهما)[42]. وأما وجه احتفائه؛ أنه حديث مشهور له طرق كثيرة، ما لم تبلغ مبلغ التواتر.

النوع الثالث: قال ومنها الخبر المسلسل بالأئمة الحفاظ المتقنين، حيث لا يكون غريبًا؛ كالحديث الذي يرويه أحمد بن حنبل - مثلًا - ويشاركه فيه غيره عن الشافعي، ويشاركه فيه غيره عن مالك بن أنس، فإنه يفيد العلم عند سامعه بالاستدلال من جهة جلالة رواته، وأن فيهم من الصفات اللائقة الموجبة للقبول ما يقوم مقام العدد الكثير من غيرهم، ولا يتشكك من له أدنى ممارسة بالعلم وأخبار الناس أن مالكًا مثلًا لو شافهه بخبر أنه صادق فيه، فإذا انضاف إليه من هو في تلك الدرجة ازداد قوة وبَعُدَ عما يُخشى عليه من السهو)، انتهى كلامه في نزهة النظر.

ما تلقاه المسلمون بالقبول:

2- ومنها قول ابن تيمية: (ومن الحديث الصحيح ما تلقاه المسلمون بالقبول، فعملوا به... فهذا يفيد العلم، ويجزم بأنه صدق؛ لأن الأمة تلقته بالقبول تصديقًا وعملًا بموجبه، والأمة لا تجتمع على ضلالة؛ فلو كان في نفس الأمر كذبًا لكانت الأمة قد اتفقت على تصديق الكذب والعمل به وهذا لا يجوز عليها).

ثم قال: (ومن الصحيح ما تلقاه بالقبول والتصديق أهل العلم بالحديث، كجمهور أحاديث البخاري ومسلم؛ فإن جميع أهل العلم بالحديث يجزمون بصحة جمهور أحاديث الكتابين، وسائر الناس تبع لهم في معرفة الحديث..)[43].

وقال ابن كثير: (وقفت بعد هذا على كلام لشيخنا العلامة ابن تيمية مضمونه: أنه نقل القطع بالحديث الذي تلقته الأمة بالقبول عن جماعات من الأئمة،... قال: وهو مذهب أهل الحديث قاطبة ومذهب السلف عامة)[44].

وقال الصنعاني: (قد عُلم أن خبر الواحد يفيد الظن، فإذا حفته القرائن أفاد العلم كما قال الحافظ في النخبة وشرحها: وقد يقع فيها - أي أخبار الآحاد المنقسمة إلى مشهور وعزيز وغريب، وهي أقسام الآحاد - ما يفيد العلم النظري بالقرائن على المختار)[45].

- **القول الثالث**: أن خبر الواحد الثقة يفيد الظن ولا يفيد العلم، ولا فرق بين البخاري ومسلم وغيرهما في ذلك، ولكنه حُجة من حُجج الشرع يلزم العمل به سواء أكان في العقائد أم في غيرها. وممن قال بهذا المذهب الإمام ابن عبد البر القرطبي، فهو يقول عن حديث الآحاد: "إنه يوجب العمل دون العلم"[46].

- وأيضًا ما قاله الإمام النووي ووافقه الإمام العز بن عبدالسلام، فقال النووي في كتاب التقريب: "وذكر الشيخ تقي الدين بن الصلاح أن ما رواياه - يعني في الصحيحين - أو أحدهما فهو مقطوع بصحته والعلم القطعي حاصل فيه، وخالفه المحققون والأكثرون فقالوا: يفيد الظن ما لم يتواتر"[47].

وممن قال بهذا الرأي أيضًا: الإمام أبو السعادات بن الأثير في مقدمة كتابه "جامع الأصول"، حيث قال: "وخبر الواحد لا يفيد العلم، ولكنا مُتَعبدون به"[48].

وقد استدل أصحاب هذا الرأي بجواز الخطأ والنسيان على الثقة عقلًا، ومع هذا الجواز العقلي لا يمكن ادعاء القطع، وتلقي الأمة الحديث بالقبول إنما أفاد وجوب العمل به[49].

هذا، وإننا لا نقول باستحالة الخطأ على جميع النقلة ولا بعصمتهم من تعمد الكذب، ولكننا نقول بالجزم والتصديق عند ظهور علامات تؤيد ذلك. يقول الإمام ابن القيم: "إن الراوي إذا كذب أو غلط أو سها فلا بد أن يقوم دليل على ذلك، ولابد أن يكون في الأمة من يعرف كذبه وغلطه ليتم حفظه لحججه وأدلته، ولا تلتبس بما ليس منها"[50].

- **القول الرابع**: أن خبر الآحاد يفيد الظن، ولذلك لا يصح الاعتماد عليه في العقيدة وفي الغيبيات، أما ما سوى ذلك في الأحكام العملية وغيرها فإنه يجب العمل به، وممن قال بهذا المذهب: بعض علماء الكلام، وغيره هم من الذين يقولون إن الخبر إذا كان رواته آحادا فلا يصلح أن يكون دليلًا على ثبوت الأمور الاعتقادية الغرض منها القطع، والخبر الظني الثبوت أو الدلالة لا يفيد القطع".

ويستدل هؤلاء على هذا القول بأن العقائد قطعية فلا يجوز أن يحتج عليها إلا بقطعي، وقد نهى الله ﷻ عن اتباع الظن فى العقائد، قال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾[51]. وقال تعالى:﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[52].

وقال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[53].

وهذا القول ضعيف؛ لأن كل ما ورد عن الرسول ﷺ فهو واجب التصديق واجب الاتباع خبرًا كان أو إنشاء، عقيدة كان أو غير عقيدة، نظرا للنصوص الكثيرة التي تأمر بطاعة الرسول مطلقًا من غير تقييد، وأما الآيات الناهية عن اتباع الظن فإنها تعني الظن المذموم الذي لا يقوم عليه دليل وليس له أسس ثابتة، بل هو قائم على الهوى والغرض المخالف للشرع، مثل إثبات الألوهية لغير الله ﷻ كما هو الحال في ظن المشركين في معبوداتهم، وهذا الظن يختلف تمامًا عن الظن المنسوب إلى أحاديث الآحاد، فهو ظن راجح ملحق بالقطعي في وجوب الاعتقاد والعمل به[54].

-**القول الخامس**: وهو مذهب الخوارج والمعتزلة، وهؤلاء لا يحتجون بأحاديث الآحاد لا في العقائد ولا في الأحكام. وحجة هؤلاء هي حجة المذهب السابق الذكر نفسها، أي أن هذه الأحاديث لا تفيد إلا الظن ولا تفيد علمًا مقطوعًا به لما فيها من احتمال الخطأ والوهم والكذب.

وقولهم هذا باطل؛ لأن من لوازمه الاقتصار على ما جاء في القرآن الكريم، وعلى الأحاديث المتواترة، والتي لا يصل عددها إلى مائتي حديث. وكأن هؤلاء هم الذين عناهم الرسول ﷺ فيما صح عنه من حديث المقدام بن معد يكرب[55] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**ألا هل عسى رجل يبلُغُهُ الحديث عنّي، وهو متكئ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتابُ الله، فما وجدنا فيه حلالًا استحللْناهُ، وما وجدنا فيه حرامًا حرَّمناه، وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله**"[56].

- وقال الإمام **القرطبي** في تفسيره: (وقد أنكرت جماعة من المبتدعة تعبد الله بالظن وجواز العمل به؛ تحكُّمًا فى الدين ودعوى في المعقول، وليس فى ذلك أصل يعوَّل عليه...)[57].

- خلاصة القول في خبر الآحاد:

إن خبر الآحاد يفيد العلم والعمل جميعًا، إذا توافرت فيه شروط القبول، ولم يطعن فيه أحد من العلماء المعتبرين، سواء أكان في الصحيحين أم في غيرهما. ولقد دل على ذلك الكتاب والسنة وعمل الصحابة.

- أولًا: الكتاب

1- قول الله ﷻ: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (التوبة: 122).

فالفرقة في الآية يراد بها الثلاثة فأكثر، والطائفة تصدق على الواحد والاثنين فهي جزء من الفرقة، ومن ذلك أن الله أمر بتشكيل واحد أو اثنين للخروج من كل فرقة تضم ثلاثة أفراد من أجل التفقه فى الدين ومن أجل الإنذار بعد العودة، فدل ذلك على صحة أخذ العلم عن خبر الآحاد، ومن ثم، دل على وجوب العمل به[58].

2- وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)[59].

وفى قراءة لحمزة والكسائي وخلف: {فتثبَّتوا}.

قال الشنقيطي: إنَّ أهل الأصول استدلّوا بالآية على "قبول خبر العدل؛ لأن قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا) يدل بدليل خطابه - أعني مفهوم مخالفته - أن الجائي بنبأ إن كان غير فاسق بل عدلًا لا يلزم التبين فى نبئه على قراءة: فتبينوا. ولا التثبيت على قراءة: فتثبتوا. وهو كذلك"[60].

3- وقال تعالى:﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[61].

قال **ابن القيم**: "وهذا يعم كل مخالف بلغه أمره ﷺ إلى يوم القيامة، ولو كان ما بلغه لم يفده علمًا لما كان متعرضًا بمخالفة مالا يفيد علمًا للفتنة والعذاب الأليم، فإن هذا إنما يكون بعد قيام الحجة القاطعة التي لا يبقى معها لمخالف أمره عذر"[62].

4- وقال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[63].

-قال **ابن القيم**: (ووجه الاستدلال: أنه أمر أن يُرد ما تنازع فيه المسلمون إلى الله ورسوله، والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى رسوله هو الرد إليه في حياته وإلى سننه بعد وفاته، فلولا أن المردود إليه يفيد العلم وفصل النّزاع لم يكن في الرد إليه فائدة، إذ كيف يرد حكم المتنازع فيه إلى مالا يفيد علمًا البتة؟ ولا يدري حق هو أم باطل؟ وهذا برهان قاطع بحمد الله)[64].

5- وقال **أبو محمد بن حزم**: قال الله ﷻ عن نبيه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[65]. وقال تعالى آمرًا نبيه ﷺ أن يقول: ﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[66]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[67].

- قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[68]. فصح أن كلام رسول الله ﷺ كله في الدين وحي من عند الله ﷻ لاشك في ذلك، ولا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة في أن كل وحي نزل من عند الله تعالى فهو ذكر مُنَزل، فالوحي كله محفوظ بحفظ الله تعالى له بيقين، وكل ما تكفل الله بحفظه فمضمون أن لا يضيع منه وأن لا يُحَرف منه شيء أبدًا؛ إذ لو جاز غير ذلك لكان كلام الله تعالى كذبًا، وهذا لا يخطر ببال ذي مسكة عقل، فوجب أن الدين الذي أتانا به محمد ﷺ محفوظ بتولي الله تعالى حفظه، مبلغ كما هو إلى كل من طلبه مما يأتي أبدًا إلى انقضاء الدنيا، قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[69].

وتأسيسًا عليه "فلا سبيل البتة إلى ضياع شيء قاله رسول الله ﷺ في الدين، ولا سبيل البتة إلى أن يختلط به باطل موضوع اختلاطًا لا يتميز عن أحد من الناس بيقين؛ إذ لو جاز ذلك لكان الذكر غير محفوظ، ولكان قول الله تعالى: (إنا نحن نزلنا لذكر وإنا له لحافظون)، كذبًا ووعدًا مخلفًا، وهذا لا يقوله مسلم"[70].

- ثانيًا: السنة

1- ثبت أن النبي ﷺ كان يرسل رسله إلى الملوك فى مختلف الأمصار لدعوتهم إلى دين الإسلام، كما كان يبعث برسله إلى الآفاق لنشر الدعوة الإسلامية وبيان أحكام هذا الدين، فقاموا بذلك وهم فرادى. قال الشافعي: "وبعث رسول الله ﷺ عماله واحدًا واحدًا ورسله واحدًا واحدًا،

وإنما بعث عماله ليخبروا الناس بما أخبرهم به رسول الله ﷺ من شرائع دينهم، ويأخذوا منهم ما أوجب الله عليهم، ويعطوهم مالهم، ويقيموا عليهم الحدود، وينفذوا فيهم الأحكام،... ولو لم تقم الحجة عليهم بهم إذ كانوا في كل ناحية وجههم إليها أهل صدق عندهم ما بعثهم"[71] فمن ذلك:

أ- عن المسور بن مخرمة ﷺ[72] قال: "خرج رسول الله ﷺ فقال: **"إن الله بعثني رحمة للناس كافة، فأدوا عني رحمكم الله "**، فبعث ابن حذافة إلى كسرى، وبعث سليط بن عمرو إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى صاحب هَجَر، وبعث عمرو بن العاص إلى جيفر وعباد ابني الجُلندي إلى عمان، وبعث دحية الكلبي إلى قيصر، وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي، فرجعوا جميعًا قبل وفاة رسول الله ﷺ غير العلاء بن الحضرمي، فإن رسول الله ﷺ توفي وهو بالبحرين"[73]. فالحديث يدل على أن خبر الآحاد يفيد العلم والعمل معًا.

وقال الإمام أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني: (لو لم يقع العلم بخبر الواحد فى أمور الدين لم يقتصر على إرسال الواحد من الصحابة فى هذا الأمر)[74].

ب- عن ابن عباس[75] { قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ حين بعثه إلى اليمن: **" إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ"**[76].

قال الحافظ ابن حجر: (وفي الحديث قبول خبر الواحد ووجوب العمل به)[77].

2- مارواه الشافعي ؒ قال: أخبرنا سفيان، عن عبدالملك بن عمير، عن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود عن أبيه [78]، أن رسول الله ﷺ قال: " **نَضَر الله عبدًا سمع مقالتي، فحفظها ووعاها وأداها، فَرُبَّ حامِل فقهٍ غيرِ فقيهٍ، ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه**"[79]. ووجه دلالته أنه

أمر كل عبد يسمع مقالته أن يبلغها، مع إمكان كونه غير فقيه، والعبد حقيقة للشخص الواحد، ولا يأمره إلا وخبره مما تقوم الحجة به.

وقال الإمام الشافعي: (فلما ندب رسول الله ﷺ إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها امرًا يؤديها، والمرء واحد، دلَّ على أنه لا يأمر أن يؤدى عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه، لأنه إنما يؤدى عنه حلال يؤتى، وحرام يجتنب، وحدّ يقام، ومال يؤخذ ويعطى، ونصيحة في دين ودنيا، ودلَّ على أنه قد يحمل الفقهَ غيرُ الفقيهِ يكون له حافظًا ولا يكون فيه فقيهًا)[80].

3- حديث المقدام بن معد يكرب ﷺ الآنف الذكر: "ألا هل عسى رجلٌ يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته... ". ووجه الاستدلال كما قال ابن القيم: (أن هذا نهي عام لكل من بلغه حديث صحيح عن رسول الله ﷺ أن يخالفه أو يقول: لا أقبل إلا القرآن، بل هو أمر لازم، وفرض حتم بقبول أخباره وسننه، وإعلام منه ﷺ أنها من الله أوحاها إليه، فلو لم تفد علمًا لقال من بلغته: إنها آحاد لا تفيد علمًا فلا يلزمني قبول مالا علم لي بصحته، والله تعالى لم يكلفني العمل بما لم أعلم صحته ولا اعتقاده، بل هذا بعينه هو الذي حذر منه رسول الله ﷺ أمته ونهاهم عنه، ولما علم أن في هذه الأمة من يقوله حذرهم منه، فإن القائل إن أخباره لاتفيد العلم هكذا يقول سواه لا ندري ما هذه الأحاديث، وكان سَلَفُ هؤلاء يقولون: بيننا وبينكم القرآن، وخَلَفُهُم يقولون: بيننا وبينكم أدلة العقول، وقد صَرَّحوا بذلك وقالوا: نقدم العقول على هذه الأحاديث، آحادها ومتواترها ونقدم الأقيسة عليها)[81].

4- عن ابن عمر[82] رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: "**إن بلالًا يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتي يؤذن ابنُ أمِّ مكتوم**"[83].

ودلالة هذا الحديث فى الأمر بتصديق المؤذن وهو واحد والعمل بخبره في فعل الصلاة، والعلم بدخول وقت الصلاة، وأول وقت الإفطار والإمساك، مع أن هذه من العبادات التي تختل بتغير وقتها، ولم يزل المسلمون فى كل وقت ومكان يقلدون المؤذنين، ويعملون بأذانهم في أوقات مثل هذه العبادات، وإن هذا لأوضح دليل على وجوب العمل بخبر الآحاد.

5- ما ثبت عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجُهني { في قصة العسيف، وفيه قول النبي ﷺ: "اغد يا أُنيس - لرجل من أسلم- إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها". فغدا عليها فاعترفت فأمر بها رسول الله ﷺ فرجمت[84].

ووجه الاستدلال فيه أن النبي ﷺ اعتمد خبره في اعترافها، مع ما فيه من إقامة حد وقتل نفس مسلمة. - قال الحافظ **ابن حجر**: (فيه دليل على أن الحكم المبني على الظن ينقضي بما يفيد القطع)[85].

- وقال **ابن القيم**: (إن خبر الواحد لو لم يفد العلم لم يثبت به الصحابة التحليل والتحريم والإباحة والفروض ويُجْعَلُ ذلك دينًا يدان به في الأرض إلى آخر الدهر)[86].

قلت: فكل هذه الأدلة من الكتاب والسنة ومن عمل الصحابة: تدل على إفادة خبر الآحاد العلم والعمل إذا كان صحيحًا وتلقاه العلماء بالقبول، فهو حجة في العقائد والأحكام، مثل خبر المتواتر لا فرق بينهما، فقد ظهر بالأدلة القاطعة إفادته للعلم وحجيته، وما كان تردد بعض الصحابة وغيرهم فيه بسبب أنه خبر آحاد؛ وإنما لأسباب منها التثبت لما وقع من ريبة في صحة الخبر، كما حدث مع أبي بكر ﷺ، ومع عمر بن الخطاب ﷺ في خبر فاطمة بنت قيس لعدم ثقته في روايتها للخبر[87]، ومع علي بن أبي طالب ﷺ، وغيرهم. أما ما عدا ذلك فإن خبر الآحاد لا فرق بينه وبين خبر المتواتر فكل منهما يفيد العلم، وكلاهما حجة في العقائد وفي أمور الدين كلها.

الفصل الأول: المدرسة العقلية، نشأتها، وأبرز معالمها

المبحث الأول: ماهية المدرسة العقلية

العقلية أو العقلانية في المصطلح الإسلامي تطلق على أولئك الذين يجوزون تقديم العقل على النقل، وعلى نصوص الشرع، خاصة في أمور العقيدة والغيب، وهم صنفان[88]:

1- المتكلمون من الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين يعتمدون العقلانيات ويقدمونها على كلام الله تعالى ورسوله ﷺ، ويتبعهم أهل الكلام الذين يخلطون بين النقليات والعقليات، ويحكمون العقليات في بعض مسائل العقيدة وأصول الدين، كالأشاعرة والماتردية ومتأخري الرافضة والخوارج ونحوهم، وهؤلاء هم أصحاب المدرسة العقلانية القديمة[89].

2- أصحاب الاتجاهات العقلانية الحديثة وهم من مشارب شتى بعضها امتداد للقديمة، وبعضها مقلد للاتجاهات الغربية، وبعضها نزعات فردية، وآخر يمثل إفرازًا للشيوعية والإلحاد كالعلمانيين والوجوديين والعصرانيين، ونحوهم من الأخلاط المتناقضة التي يجمعها النزوع إلى تقديم أحكام البشر الناقص الفاني الجاهل على أحكام الله تعالى العليم الخبير.

• إن المدرسة العقلية اسم يطلق على ذلك التوجه الفكري الذي يسعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع وبين الحضارة الغربية والفكر الغربي المعاصر، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلًا جديدًا يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين، لا سيما مع انفجار المعلومات والاكتشافات الصناعية الهائلة في هذا العصر. وتتفاوت رموز تلك المدرسة تفاوتا كبيرًا في موقفها من النص الشرعي، ولكنها تشترك في الإسراف في تأويل النصوص، سواء كانت نصوص العقيدة، أم نصوص الأحكام، أم الأخبار المحضة، وفي رد ما يستعصي من تلك النصوص على التأويل[90].

فالمدرسة العقلية الحديثة[91] هي في الحقيقة امتداد لمدرسة المعتزلة التي لم تستضئ بنور الوحي، وأصحابها يعظمون العقل ويقدمونه على نصوص الكتاب والسنة، وذلك بخلاف أهل السنة والجماعة الذين يجعلون العقل غير المعصوم تابعًا للوحي المعصوم، بل يعتقدون أن العقل الصريح لا يمكن أن يتعارض أبدًا مع النقل الصحيح، وانظر تفصيل ذلك فيما كتبه الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول) أو (درء تعارض العقل والنقل).

- والعقلانية: هي التفسير العقلاني لكل شيء في الوجود، أو تمرير كل شيء في الوجود من قناة العقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه[92].

فالعقلانيون المعاصرون هم الطائفة التي ظهرت في مصر في العصر الحديث، وتدعو إلى وضع الشريعة في ميزان العقل، فما وافق منها العقل يؤخذ به، وما خالفه يرفض ويترك. والمنهج الذي يدعون إليه منهج قديم وحديث، يتفق مع المعتزلة قديمًا ومع المستشرقين حديثًا في تفضيل العقل على النقل، ولا يخفى خطورة ما يدعون إليه من هدم لأركان الدين ودعائمه الأساسية، ما

دام الميزان هو العقل، والعقل ليس له تصور واضح، ومقياس ثابت، فالعقول تختلف من شخص إلى آخر، فما يراه أحدهم صحيحًا ربما يكون غير صحيح عند الآخر، فهذا الميزان مختل ومرفوض، ولكن هذه المدرسة تأثرت كثيرًا بالمدارس الاستشراقية في أخذ أحكام الدين عن طريق العقل لا النقل، ولاسيما أن رجالاتها اختلطوا كثيرا بالغربيين وانبهروا بفكرهم وحضارتهم المادية، فحاولوا أن يوفقوا بين الإسلام والغرب، فخرجوا بهذه القواعد المنحرفة والخطيرة[93].

ونستطيع القول وبشكل قطعي إن هؤلاء القوم يحملون معظم أفكار المستشرقين وآرائهم إلا أنهم ينتسبون إلى العروبة والبلاد العربية، والدليل على ذلك شبهاتهم الكثيرة حول السنة النبوية ونقدهم لكثير من الأحاديث، وفيما يلي بعض أقوال دعاة هذه المدرسة[94]:

أ - **يقول أحمد أمين** وهو ينتمي إلى هذه المدرسة: "إن الأزهر لا يقبل الآراء العلمية الحرة، فخير طريقة لبث ما تراه مناسبًا من أقوال المستشرقين ألا تنسبها إليهم بصراحة، ولكن ادفعها إلى الأزهريين على أنها بحث منك، وألبسها ثوبًا رقيقًا لا يزعجهم مسها، كما فعلت أنا في "فجر الإسلام وضحى الإسلام"[95].

ب - **يقول محمود أبو رية**: "كان الأستاذ والإمام محمد عبده لا يأخذ بحديث الآحاد مهما بلغت درجته من الصحة في نظر المحدثين، إذا ما خالف العقل أو القرآن أو العلم"[96].

ويقول **محمد رشيد رضا**: أصول العقائد وقضايا الإيمان التي يكون بها المرء مؤمنًا لا يتوقف شيء منها على أحاديث الآحاد[97].

ج - يقول **أحمد أمين**: "وقد وضع العلماء للجرح والتعديل قواعد ليس هنا محل ذكرها ولكنهم - والحق يقال - عنوا بنقد الإسناد أكثر مما عنوا بنقد المتن"[98].

د- وقال الشيخ **محمود شلتوت**: " ومتى لحقت الظنية الحديث على أي نحو، فلا يمكن أن نثبت به عقيدة يكفر منكرها، وإنما يثبت الحديث العقيدة وينهض حجة عليها إذا كان قطعيًا في وروده وفي دلالته"[99].

وغيرها كثير من الشبهات التي أثارها المستشرقون عن السنة النبوية وروَّجها هؤلاء القوم؛ إرضاء للغربيين وإظهارًا لهم بأن هذا الدين مبني على العقل مثلما أنتم تدعون إليه[100].

موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية:

إن من أعظم الانحرافات المنهجية عن دين الإسلام الاغترارُ بالعقل والإعلاء من شأنه وإنزاله منزلةً لا يبلُغها بحيث يكون حَكَمًا على نصوص الوحيين. ولقد كانت أمة الإسلام حتى وفاة النبي ﷺ وصدرٍ من عصر خلفائه الراشدين على منهج واحد من التسليم للقرآن الكريم والسنة النبوية، وعدم التقدُّم بين يدَيهما، فلم يحرِّفوا نصًا ولم يعارضوه، ولم يقبلوا قول أحدٍ إذا خالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ولما طال الأمد نبتت في المسلمين نابتةٌ من أهل الأهواء ممن لم يستضئ بنور الوحي، وتبنّت أقوالًا شاذة في أصول الدين كالكلام في القدر، والكلام في صفات الله تعالى، والوعد والوعيد، والموقف من صحابة رسول الله ﷺ وغير ذلك من المقالات، ونصروها وتعصبوا لها، فتكوّنت الفِرَق، واحتدم النزاع والخلاف بينها، ولاذت كل فرقة بكتاب الله تعضِد به أقوالها، ولما عجزوا تأولوا آياته وحرفوها عن ظاهرها!!

ثم كرُّوا على السنة النبوية، فلما وجدوها على خلاف ما يعتقدون، قالوا ما نقبل منها إلا ما وافق عقولنا!! وانخدع بتلك الدعوى بعض المغفَّلين من المنتسبين للإسلام إحسانًا للظن بمن رفع لواءها.

فلقد نادت المعتزلة قديمًا بعرض الأحاديث على العقل، وقبول ما يوافقه، ورد ما يرفضه، فجعلوا العقل البشري حاكمًا على السنة، ثم جاء من تابعهم في هذا العصر، وشكَّك في الأحاديث التي رواها الثقات بزعم مخالفتها للعقل، وهؤلاء يطالبون باستبدال قواعد المحدِّثين في قبول الحديث ورده بعرضه على العقل الصريح، فما وافقه قُبل، وما خالفه رُفض. وقد نادى كثيرٌ من المستشرقين بهذا الأمر، وتابعهم عليه بعض المسلمين كالأستاذ: أحمد أمين، والمدعو: أبو رية وغيرهما[101].

المبحث الثاني: نشأة المدرسة العقلية

يُرجع عدد كبير من العلماء جذور نشأة المدرسة العقلية إلى أول اعتراض عقلي حدث مقابل أمر الله سبحانه وهو ما وقع من إبليس[102]، حين اعترض على أمر ربه وأبى السجود لآدم عليه السلام، قال تعالى مخبرًا عنه: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[103]. وبذلك بدأت بذور الشر منذ وجود الإنسان الأول، وبدأت معها شبهاته العقلية منذ انحرافه الأول عن التوحيد كما حدث في قوم نوح عندما دعاهم إلى التوحيد. قال الله عنهم: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾[104].

وهكذا بدأ الإنسان يقف موقف المعارض والمجادل والمشكك في أوامر الله إلا من هدى الله. وكان من أكثر الناس انحرافًا في استعمال العقل والجرأة على الله ورسله: بنوا إسرائيل، الذين كان لهم دور كذلك في إضلال النصارى، وبث بذور الاتجاهات العقلية في الإسلام. وقد نشأت الاتجاهات العقلية في الإسلام متمثلة في اتجاهين:

أحدهما: اعتراضات المشركين على الرسول ﷺ، وقد تصدى لها القرآن وقضى عليها بشكل حاسم.

الثاني: شبه المنافقين ودسائسهم، داخل المجتمع الإسلامي الأول، والتي تعتبر بحق بذور الفرقة والاختلاف، وقد بقي أمرهم دون الإشهار والإعلان حتى جاء ابن السوداء عبدالله بن سبأ اليهودي فجرأهم وحثهم على الخروج على عثمان رضي الله عنه ثم أظهر القول بوصية الرسول ﷺ بإمامة علي وذريته، ومن هنا بدأت بدعة التشيع والرفض. ثم أعقبها ظهور الخوارج، وذهبت كل فرقة تخفض وترفع في نصوص الوحيين، فما وافق هواهم استدلوا به، وما خالفه ردوه أو أوّلوه، وانفتح بذلك باب الجرأة العقلية. واستمر الأمر على هذه الحال طيلة القرن الأول، ولم يستفحل فيه أمر الفرق، لأن أصحابها كانوا يُطاردون ويُشَّردون ويُقتَّلون، ولم تكن لهم أصول شاملة

مُقعَّدة، حتى جاءت المعتزلة مع بداية القرن الثاني الهجري فاستوعبت أهم آراء الفرق التي سبقتها كالقدرية والجهمية والمعطلة، كما أن الفرق التي أتت بعدها إنما كانت عالة عليها كإخوان الصفا مثلًا. فكان المعتزلة بذلك أنسب من يمثل المدرسة العقلية القديمة في الإسلام. وقد أثبت كثير من المحققين أن المعتزلة استمدوا أفكارهم من مصادر غير إسلامية كاليهودية ومنها جاء القول بخلق القرآن، والنصرانية ومنها جاءت بدعة القول بالقدر وخلق الإنسان لأفعاله، إضافة إلى كتب الفلاسفة التي كان لها دور في تقديم العقل على النقل، وتحكيم عقولهم في كلام الله وكلام رسولهﷺ.

ولكل الأسباب السابقة انحرفت المعتزلة على وجه الخصوص، والفرق العقلية الأخرى على وجه العموم انحرافاتٍ جذرية، ابتعدت بهم عن دائرة الإسلام، وكان من أهم مبادئهم التي بنوا عليها باطلهم، تقديم العقل على النقل، وإنكار الصفات أو تأويلها[105].

ومن هنا يتضح أن هذه الفرق لم تكن أصولها إسلامية ثم انحرفت، بل الصحيح أن أصولها وبذور نشأتها غير إسلامية، ثم اصطبغت بالصبغة الإسلامية لمعايشة التيار الإسلامي المهيمن على الحياة [106]. وبذكر ما سبق نكون قد أتينا على بيان مجمل لما يسمى بالمدرسة العقلية القديمة.

أما المدرسة العقلية الحديثة فنستطيع القول إنها امتداد للمدرسة العقلية القديمة. فالمدرستان تلتقيان وتتفقان في كثير من الأصول والآراء، والذي يعتبره رواد العقلية الحديثة من دواعي الفخر والاعتزاز بتلك الجذور التاريخية لمنهجهم[107].

ونستطيع القول كذلك إن أبرز ما يجمعهما هو الجهل بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، والجرأة على كلام الله، وكلام رسوله ﷺ، وتقديم العقل على النقل، وتبعيتهما للفلسفات الأجنبية بتتلمذ القدماء على اليونان، وتتلمذ المحدثين على المستشرقين والغربيين[108]، كما تجتمع كل فرقهم، وفي شتى أزمانهم، على كراهية أهل السنة، ورميهم بالتعصب، وتحجيم العقل.

ومع اتفاق المدرستين في كثير من الأصول والآراء، إلا أن هناك فروقًا أفرزتها الظروف الزمانية والمكانية المختلفة بين المدرستين. ومن أهمها تغيُّر الشعارات والتسميات، فحيث كانت القديمة مرتبطة بظروف تأسيسها أو أسماء مؤسسيها، كالمعتزلة، والقرامطة، والخوارج، والرافضة. كانت الحديثة أكثر خداعًا وجذبًا للعامة والدهماء؛ فأطلقوا على طريقتهم شعارات برَّاقة كالحرية الفكرية، والتجديد، والمساواة، والتسامح الديني، والتقدمية، والتنوير، والديموقراطية، وحرية الرأي،... وغيرها[109].

ولعل أبرز ما يميز المدرسة العقلية الحديثة عن القديمة، أنها أكثر تماسكًا وتكافلًا، "يوحي بعضهم إلى بعض "، وذلك بسبب التأثير الأجنبي عليها؛ حيث يسيرها جميعًا نحو هدف واحد. أما القديمة فغالبًا ما يلعن بعضها بعضًا، ويكفّر بعضها بعضًا، حتى داخل الفرقة الواحدة، كما فعلت الفرق العشرين داخل المعتزلة[110].

أما المدرسة الحديثة فقد استفادت من التجربة، وجمعتها المصالح والغايات المشتركة، كما أن التأثير الأجنبي هو الذي يسيرها جميعًا نحو الهدف الواحد وإن تباينت الوسائل والمنطلقات[111].

المبحث الثالث: أبرز معالم المدرسة العقلية

عندما نتتبع منهج المدرسة العقلية قديمًا وحديثًا من خلال الكتب التي تناولتها نجد أن أهم أصولها ومرتكزاتها تجاه هذا الدين:

- تقديم العقل والأهواء على نصوص الشرع.
- الإنكار والتشكيك، والتحريف والتأويل، في أصول العقيدة وأدلتها.
- الانحراف في الاستدلال، والتلقي من غير المصادر الإسلامية.
- وفي العصر الحديث الإشادة بالحياة الغربية، والحكم على الإسلام من خلالها.
- عدم التمييز أو المفاضلة بين المسلمين وغير المسلمين.
- تبني الطرح العلماني.

- الاهتمام بعمارة الحياة الدنيا والغفلة عن الآخرة.

• **أما أبرز معالم المدرسة العقلية المعاصرة فهي**[112]:

1- **رد السنة النبوية كليًا أو جزئيًا**، فمنهم من يردها مطلقًا، ومنهم من يقبل المتواتر العملي فقط ومنهم من يقبل المتواتر مطلقا عمليًا كان أو قوليًا.

أما حديث الآحاد[113]، فقد يقبلون منه ما يتوافق مع روح القرآن، وما يتفق مع العقل، أو التجربة البشرية، وقد يردها بعضهم مطلقا، فلا يقبل منها شيئا.

2- **التوسع في تفسير القرآن الكريم على ضوء العلم الحديث بكافة جوانبه**، ولو أدى ذلك إلى استحداث أقوال مجانبة لتركيب الآيات القرآنية من الناحية اللغوية، وغير موافقة للمنقول عن السلف ﷺ، ومن ذلك -مثلا- أن بعضهم يؤولون الملائكة، والشياطين، والجن، والسحر، وقصة آدم، والطير الأبابيل، وغيرها مما ورد في القرآن الكريم كما هو في تفسير الشيخ (محمد عبده)، وهو من أقطاب تلك المدرسة.

3- **التهوين من شأن الإجماع**، إما برفضه رفضا كليا كما نجد عند (أحمد خان الهندي)، وهو من أكابر رجال المدرسة العقلية، بل إن له من الآراء ما يرفضه العقلانيون الآخرون، فهو يرفض الإجماع رفضًا كليًا، ومنهم من يقيد الإجماع، كما نجد عند (محمد عبده) وغيره، حيث يضيف لتعريف الإجماع المعروف في أصول الفقه قيودا جديدة لم تكن معروفة عند العلماء.

4- **الحرية الواسعة في الاجتهاد** مع غض النظر عن الشروط المطلوبة في المجتهد، ومع غض النظر أيضا عن الأطر العامة التي يجب أن تضبط هذا الاجتهاد؛ ولذلك نجد أن كثيرا منهم جاءوا بآراء شاذة ومنكرة لم يقل بها أحد من قبلهم، وشجعهم على ذلك موقفهم من الإجماع.

5- **الميل إلى تضيق نطاق الغيبيات ما أمكن**، وذلك تأثرًا بالتيار المادي الذي يسود الحضارة المعاصرة، ومن هنا جاء إقحام العقل في المسائل الغيبية، وتأويل الملائكة والجن والشياطين... وعند غلاة العقلانيين نجد تأويل الصلاة والزكاة والصوم والحج[114].

6- **تناول الأحكام الشرعية العملية تناولا يستجيب لضغوط الواقع، ومتطلباته**، وذلك كقضايا الربا، إضافة إلى قضايا (الوحدة الوطنية) التي تجمع المواطنين أيا كان دينهم، وكذلك قضايا (حرية الفكر) وغيرها.

7- **مناداتهم بتجديد الدين**، فقالوا: لابد من جعل الإسلام بصورة تقبلها الأذهان في هذه الأيام. ومعالجة هذه المسائل تبدو غالبًا بصورة يمكن أن تكون مقبولة لدى مفكري الأمم الأخرى، ومتأثرة بالتيارات الفكرية السائدة.

• ولا يمكن تجاهل أن من بين المنتسبين إلى هذه المدرسة، أو المنسوبين إليها من لهم آراء سليمة في نبذ التقليد الأعمى، وفي الإصلاح الاجتماعي أو الاقتصادي، أو السياسي، أو التعليمي، أو غيرها[115].

وهذه المدرسة المسماة "بالمدرسة العقلانية" -وقد يسميها بعضهم "بالمدرسة العصرانية"، نسبة إلى العصر الذي خضعت لظروفه وتأثرت به- تمد رواقها اليوم على عدد من المدارس، والجماعات، والأشخاص، والمعاهد، التي تهتم بالفكر الإسلامي في عدد من البلاد الإسلامية وفي بلاد أخرى غربية في أمريكا وغيرها، ولذلك فإن من المهم استجلاء فكر هذه المدرسة ومعرفته[116].

المبحث الرابع: علاقة المدرسة العقلية القديمة بالمدرسة العقلية الحديثة

تعتبر المدرسة العقلية الحديثة امتدادا للمدرسة العقلية القديمة؛ لكونها تلتقي وتتفق معها في كثير من الأصول والآراء، وفي الوسائل والغايات، ومما يؤكد ذلك إشادة رواد المدرسة العقلية الحديثة بأساتذتهم رواد المدرسة العقلية القديمة، واهتمامهم بإحياء أفكارهم القديمة واقتفاء آثارهم. والفرقة التي خصت بالتأييد الفائق من رواد العقلية الحديثة هي المعتزلة، فهي الفرقة التي رفعت لواء العقلانية واستوعبت كثيرًا من آراء الفلاسفة وأهل الكلام من أعداء الرسل والوحي قبل الإسلام وبعده، فخلفت تراثًا عقليًا ضخمًا متكاملًا تغلغل في صميم التراث الإسلامي، كما نجد أن العقلانيين - العصرانيين- يثنون على أساتذتهم المستشرقين كثيرًا، ويفتخرون بهم وبدراساتهم، ويجعلون منها فتحًا علميًا عظيمًا[117].

وإليك بعض النصوص التي تؤكد هذه العلاقة بين المدرستين[118]:

- قال **فاروق الدملوجي** في كتابه (هذا هو الإسلام): " ولو كان انتشر الاعتزال في البلاد الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها لما حصلت هذه النكبات، ولو لم يحصل الارتجاع والانتكاس والجمود على المنقولات لكان العالم الإسلامي غير ما هو عليه اليوم ".

- وقال **محجوب بن ميلاد** في كتابه (في سبيل السنة الإسلامية): " ويكفي الاعتزال فخرًا أن ضم في صفوفه شخصيات بارزة وعقولًا جبارة كواصل بن عطاء، وأبي الهذيل العلاف، والنظام، وأبي علي الأسواري، وأبي يعقوب الشحام، وبشر بن المعتمر، والجاحظ، وأبي علي الجبائي شيخ أبي الحسن الأشعري، وأبي موسى المردار، وثمامة بن الأشرس، والجعفرين، وأبي الحسين الخياط، وأبي القاسم البلخي، وابن فارس، والزمخشري، وأمثالهم العديدين، فقد كان المعتزلة المحرك القوي، الذي أطعم التفكير الإسلامي وغذاه وبعث فيه حيوية رائعة، وأكسبه جرأة سطرت صفحات هي أنفس التفكير الإسلامي، وأجرت ينابيع فكرية، ماؤها من أصفى المياه وأعذبها ".

- ويرى الدكتور **زكي نجيب محمود**: (أن أهم جماعة يمكن لعصرنا أن يرثها في وجهة نظرها هي جماعة المعتزلة التي جعلت العقل مبدأها الأساسي كلما أشكل أمر).

ونجد هذا التوجه لإحياء مذهب المعتزلة وأفكارهم لدى كثير من العقلانيين المعاصرين، مثل: جودت سعيد، ومحمد عمارة، ومحمد فتحي عثمان، وعبد الكريم عثمان، وعبد الستار الراوي، وعبد اللطيف غزالي، وحسن الترابي، ومحمد شحرور وغيرهم. الذين يريدون أن يربطوا المسلمين اليوم بأهل الأهواء والافتراق والبدع. وكما أن هناك تشابها بين المدرستين العقلية القديمة والحديثة فهناك فروق واختلاف بينهما، ومن أهم هذه الفروق:

- الفرق العقلية القديمة ألصق بالإسلام وأقرب إلى حقيقته، والإخلاص له؛ بسبب معايشتها للمجتمع الإسلامي في القرون الفاضلة التي هيمن فيها الإسلام، وروادها أقرب إلى

الاستقامة والصلاح وفيهم شيء من الصلاح الظاهر، أما المحدثون فأكثرهم لا يظهر عليهم الصلاح والاستقامة على السنة، وقيادة البشرية قيادة وثنية ملحدة تملك زمام الحضارة والتقدم والمسلمون هم المستضعفون.

-العقلية القديمة انكشفت واضمحلت، كالرافضة والخوارج والصوفية وعرفت بأصولها ومواقفها السلبية في المسلمين، أما العقلية الحديثة فهي المهيمنة، وهي التي تحكم على الإسلام وتحاكمه، وهي وإن انكشفت لكنها لم تواجه بعد.

- العقلية الحديثة استمدت تنظيمها ونشاطاتها من روافد جاهلية حديثة، لم تتيسر للقديمة بسبب التفوق العلمي الحديث للغرب الجاهلي، والتي تتمثل في منظمات التبشير والاستعمار والاستشراق وغيرها، مما كان له الأثر في هذا الغرور والتعالي الذي تمارسه العقليات الحديثة.

- العقلية الحديثة تفوق القديمة في شعاراتها وإمكاناتها ووسائلها، فهي تحمل شعارات براقة وخادعة، وتملك رايات وإمكانات وصحف ومجلات ومؤسسات لا يملكها أهل السنة.

- العقلية الحديثة أكثر تماسكًا وتكافلًا من القديمة، فالفرق القديمة غالبًا ما يلعن بعضها بعضًا، ويكفّر بعضها بعضًا، بينما استفادت الحديثة من التجربة، وجمعتها المصالح والغايات المشتركة، وكان التأثير الأجنبي هو الذي يسيرها نحو الهدف.

وتتضح الاتجاهات العقلية في المؤلفات التي انهالت على الناس في كل جوانب الإسلام وأصوله إنكارًا وتشكيكًا وتشويهًا وتحريفًا وتهكمًا وسخرية بقيم الإسلام وأحكامه، والاستعاضة عنه بالإنتاج الغربي، فظهر كثير من الإنتاج الفكري للاتجاهات العقلانية الحديثة، وساهم روادها في هدم جانب أو أكثر من أصول الإسلام في العقيدة والسلوك وغيرها[119].

ومما يوضح لنا منهج المدرسة العقلية القديمة والحديثة في معاملتها للنصوص الثابتة هو إقحامها عقولها القاصرة عن فهم النصوص الثابتة لتكون حكمًا عليها، ويتضح معه سيرهم على

نهج أهل الاعتزال في رد أحاديث الآحاد الصحيحة، تارة بحجة أنها تفيد الظن، وتارة لمخالفتها للعقل. فأخذوا يزهّدون الناس في حديث النبي ﷺ، بل ويزجرونهم عن قراءته وروايته.

- يقول مثلًا **محمد الغزالي**: (ونحن نذود المرويات الواهية، والأحاديث المعلولة كما نذود عن القرآن نفسه التفاسير المنحرفة والأفهام المختلفة، ليبقى الوحي الإلهي نقيًا)، ويقول: (إن ركامًا من الأحاديث الضعيفة ملأ آفاق الثقافة الإسلامية بالغيوم، وركامًا مثله من الأحاديث التي صحت، وسطا التحريف على معناها، أو لابسها، كل ذلك جعلها تنبو عن دلالات القرآن القريبة والبعيدة، وقد كنت أزجر بعض الناس عن رواية الحديث الصحيح حتى يكشفوا الوهم عن معناه، إذا كان هذا المعنى موهمًا، مثل حديث: (لن يدخل أحد الجنة بعمله... إلخ)[120]. فهذه جرأة تجاوز بها حده بأن وصف أحاديث النبي ﷺ، بهذا الوصف، بل إنه يتجرأ ويزجر الناس عن روايتها ويصفها بأنها ركام، بل ويريد من علماء الملة أن يخفوا الأحاديث لأنها إذا شاعت بين الأمة أحدثت خرابًا.

- فأصحاب المدرسة العقلية الحديثة يسيرون على خطى أسلافهم من المعتزلة في رد الأحاديث التي تكشف عن موقفهم المعادي لسنة المصطفى ﷺ، فطعنوا وقدحوا فيها، وتناولوها بفهمهم المعوج، واستهانوا بأمرها. فلا يستدلون بها في العقائد وأصول الدين؛ لأنها تفيد الظن كما يزعمون، أو لمخالفتها العقل، وسوف أتناول في المبحث الثاني نماذج من الأحاديث التي ردتها المدرسة العقلية بحجة مخالفتها للعقل.

الفصل الثاني: نماذج لبعض أحاديث الآحاد التي ردت بحجة مخالفتها للعقل

من المعلوم أن الشرع هو الحاكم على العقل، وإذا وجد في الشرع أخبار لا تدركها العقول فالواجب على العقل تصديقها والتسليم لها لا ردها وإنكارها، وكم من ضلالات وبدع نشأت بسبب استحسان العقل القاصر، وتقديمه على الشرع، من ذلك: رد الأمور الغيبية التي صحت بها الأحاديث كالصراط، والميزان، وعذاب القبر ونعيمه، وغيرها وما كان ذلك إلا بسبب الجهل بالأحاديث الصحيحة، وكذلك الجهل بمكانة السنة من التشريع الإسلامي، والجهل بما أجمعت

عليه الأمة، والجهل بالقياس؛ فالجهل بالأحاديث الصحيحة ينشأ عنه إثبات الأحكام بأحاديث غير ثابتة، والجهل بالسنة ينشأ عنه إهدار للأحاديث الصحيحة، وعدم الأخذ بها وإحلال البدع مكانها، والجهل بإجماع الأمة يترتب عليه إحداث أقوال وأفعال مخالفة للإجماع، والجهل بالقياس ينشأ عنه الاجتهاد في مورد النص، وإثبات عبادات بطريق القياس، ولكن أصحاب المدرسة العقلية القديمة ردوا أحاديث صحيحة ثابتة بحجة مخالفتها للعقل، وتبعهم في ذلك أصحاب المدرسة العقلية الحديثة، وأي عقل يريدون أن يحتكموا إليه ويردوا الأحاديث الصحيحة بسببه؟! إن العقل الذي يريدون أن يتحاكموا إليه مختلف في تحديده، فأي عقلٍ يريدون أن يُحَكِّمُوه ويعطوه من السلطة أكثر مما أعطاه علماؤنا في قواعدهم الدقيقة؟ فليس عندنا عقلٌ واحدٌ نقيس به الأمور، فالعقول متفاوتة في فهمها للأمور وإدراكها للأشياء، والمقاييس مختلفة، والمواهب متباينة، فما لا يعقله فلان ولا يفهمه قد يراه آخر معقولًا مفهومًا، كما أن ما تخفى على الناس في بعض العصور حكمته وسر تشريعه قد يتجلَّى لهم في عصرٍ آخر مقبول الحكمة واضح المعنى حين تتقدَّم العلوم وتنكشف أسرار الحياة.

فإذا كانت العقول تختلف فيما بينها، فما هو العقل الكامل الذي يريدون تحكيمه؟ أهو عقل العوام؟ أم عقل الفلاسفة؟ أم عقل الأطباء؟ أم عقل الساسة والحكَّام؟.

والعقل قد يرفض شيئًا لغرابته ثم يُقِرُّ به بعد ذلك، وكم من أحلامٍ وخيالات رفضها العقل قديمًا فأصبحت الآن حقائق واقعة.

وليس في الإسلام ما يحكم العقل باستحالته، ولكن فيه ما يستغربه العقل خاصةً في أمور الغيب، فالواجب على العقل المخلوق أن يعرف قدره، ولا يتجاوز حدوده، ولا يتطاول على خالقه وربّه، فإذا ثبت النص فقد صدق الله، وإن لم يستطع العقل فهم مدلوله فهذه هي العبودية حقًا. ولا بد من التفريق بين المستحيل والمُسْتَغْرَب، فإن ردَّ المستغرب وتكذيبه تهورٌ طائش ينشأ من اغترار الإنسان بعقله، فإن كثيرًا من الأمور التي كانت غامضة أصبحت اليوم واضحة، وما كان في الأمس حقيقة ربما أصبح اليوم خرافة[121].

والعقل ليس معصومًا في أفكاره ومعارفه ولكن الوحي الثابت هو المعصوم، والواجب على المسلم هو التسليم له، والانقياد لأحكامه، وإن بدا غريبًا في بعض الأشياء.

- **قال ابن تيمية**: (فإذا علم الإنسان بالعقل أن هذا رسول الله، وعلم أنه أخبر بشيء، ووجد في عقله ما ينازعه في خبره، كان عقله يوجب عليه أن يسلم موارد النزاع إلى من هو أعلم به منه، وألا يقدم رأيه على قوله، ويعلم أن عقله قاصر بالنسبة إليه، وأنه أعلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته واليوم الآخر منه، وأن التفاوت الذي بينهما في العلم بذلك أعظم من التفاوت الذي بين العامة وأهل العلم بالطب)[122].

- **قال الشاطبي**: (وليس كل ما يقضي به العقل حقًا، ولذلك تراهم يرتضون اليوم مذهبًا، ويرجعون عنه غدًا، ثم يصيرون بعد غد إلى رأي ثالث، ولو كان كل ما يقضي به حقًا؛ لكفى في إصلاح معاش الخلق ومعادهم، ولم يكن لبعثة الرسل عليهم السلام فائدة، ولكان على هذا الأصل تعد الرسالة عبثًا لا معنى لها، وهو كله باطل)[123].

والمطالع لكتب أئمة الحديث يعلم يقينًا أن أئمة الحديث وفقهاء المسلمين لم يُعَطِّلوا عقولهم عند الحكم على الحديث، وإنما أوقفوها عند الحد الذي يجب أن تقف عنده تأدُّبًا مع الله، فلا ترقى العقول لمناهضة الوحي، وإنما واجبها محاولة الفهم ثم التسليم والانقياد.

وقد وضع أئمة النقد من علماء الحديث علامات لمعرفة الحديث الموضوع، منها: أن يكون متنه مخالفًا لبدائه العقول، أو للمقطوع به من الدين، أو التاريخ، أو الطب أو غير ذلك. وبهذه الطريقة رفضوا أحاديث كثيرة وحكموا عليها بالوضع[124].

- قال **ابن الجوزي**: (ما أحسن قول القائل: إذا رأيت الحديث يباين المعقول، أو يخالف المنقول، أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع[125].

- والأحاديث التي صحَّحها علماؤنا رحمهم الله ليس فيها ما يرفضه العقل أو يُحيله؛ لأنها إما أن تتعلَّق بأمور العقيدة، وهذه يجب أن تتَّفق مع القرآن، ونحن نقطع بأنه ليس في القرآن

شيءٌ يحكم العقل بفساده أو بطلانه أو استحالته، وإما أن تتعلَّق بالأحكام الشرعية من عبادات ومعاملات وآداب غيرها، وليس في حديثٍ من هذه الأحاديث التي صحَّحها علماؤنا ما يرفضه العقل أو يحكم باستحالته، وإما أن تكون أخبارًا عن الأمم الماضية، أو أخبارًا عن عالم الغيب مما لا يقع تحت النظر كشؤون السموات والحشر والجنة والنار، وهذه ليس فيها ما يحكم العقل ببطلانه، وقد يكون فيها ما لا يدركه العقل فيستغربه. فإذا جاءت هذه الأحاديث من طريقٍ ثابتٍ يفيد القطع فيجب اعتقادها، وإن جاءت عن طريقٍ يفيد غلبة الظن فليس من شأن المسلم أن يبادر بتكذيبها.

وبهذا نرى أن فريقا كبيرًا من الناس لا يفرِّقون بين ما يرفضه العقل وبين ما يستغربه، فيساوون بينهما في سرعة الإنكار والتكذيب، مع أن حكم العقل فيما يرفضه ناشئٌ عن استحالته، وحكم العقل فيما يستغربه ناشئٌ عن عدم القدرة على تصوُّره، وفرقٌ كبير بين ما يستحيل وبين ما لا يُدرك.

على أننا نرى من الاستقراء التاريخي، وتتبع التطور العلمي والفكري أن كثيرًا مما كان غامضًا على العقول بالأمس أصبح اليوم مفهومًا واضحًا، بل إن كثيرا مما كان يُعتبر حقيقةً من الحقائق أصبح اليوم خرافةً من الخرافات، وما كان مستحيلًا بالأمس أصبح اليوم واقعًا، ولو أن إنسانًا عاش في القرون الوسطى فكَّر فيما وصل إليه الإنسان الآن لعُدَّ من المجانين.

والذين ينادون بتحكيم العقل في صحة الحديث أو كذبه لا نراهم يفرِّقون بين المستحيل وبين المستغرب، فيبادرون إلى تكذيب كل ما يبدو غريبًا في عقولهم، وهذا تهورٌ طائش ناتجٌ عن اغترارهم بعقولهم من جهة، وعن اغترارهم بسلطان العقل ومدى صحة حكمه فيما لا يقع تحت سلطانه من جهةٍ أخرى[126].

فخيرٌ للعقل أن يفكِّر فيما يستطيع التفكير فيه، من أن يحاول التفكير في أمور الغيب التي لا يعلمها إلا خالق العقل.

- فإن من أصول أهل السنة والجماعة "ألا نعارض سنة رسول الله ﷺ، بالمعقول؛ لأن الدين إنما هو الانقياد والتسليم، دون الرد إلى ما يوجبه العقل؛ لأن العقل ما يؤدي إلى قبول السنة، فأمّا ما يؤدي إلى إبطالها فهو جهل لا عقل"[127].

- قال **الطحاوي** "وَقَوْلُهُ: "فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالِمِهِ أَيْ: سَلَّمَ لِنُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَمْ يَعْتَرِضْ عَلَيْهَا بِالشُّكُوكِ وَالشُّبَهِ وَالتَّأْوِيلَاتِ الْفَاسِدَةِ، أَوْ بِقَوْلِهِ: الْعَقْلُ يَشْهَدُ بِضِدِّ مَا دَلَّ عَلَيْهِ النَّقْلُ! وَالْعَقْلُ أَصْلُ النَّقْلِ!! فَإِذَا عَارَضَهُ قَدَّمْنَا الْعَقْلَ!! وَهَذَا لَا يَكُونُ قَطُّ. لَكِنْ إِذَا جَاءَ مَا يُوهِمُ مِثْلَ ذَلِكَ: فَإِنْ كَانَ النَّقْلُ صَحِيحًا فَذَلِكَ الَّذِي يُدَّعَى أَنَّهُ مَعْقُولٌ إِنَّمَا هُوَ مَجْهُولٌ، وَلَوْ حَقَّقَ النَّظَرَ لَظَهَرَ ذَلِكَ. وَإِنْ كَانَ النَّقْلُ غَيْرَ صَحِيحٍ فَلَا يَصْلُحُ لِلْمُعَارَضَةِ، فَلَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَتَعَارَضَ عَقْلٌ صَرِيحٌ وَنَقْلٌ صَحِيحٌ أَبَدًا. وَيُعَارَضُ كَلَامُ مَنْ يَقُولُ ذَلِكَ بِنَظِيرِهِ، فَيُقَالُ: إِذَا تَعَارَضَ الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ وَجَبَ تَقْدِيمُ النَّقْلِ، لِأَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الْمَدْلُولَيْنِ جَمْعٌ بَيْنَ النَّقِيضَيْنِ، وَرَفْعُهُمَا رَفْعُ النَّقِيضَيْنِ، وَتَقْدِيمُ الْعَقْلِ مُمْتَنِعٌ، لِأَنَّ الْعَقْلَ قَدْ دَلَّ عَلَى صِحَّةِ السَّمْعِ وَوُجُوبِ قَبُولِ مَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَوْ أَبْطَلْنَا النَّقْلَ لَكُنَّا قَدْ أَبْطَلْنَا دَلَالَةَ الْعَقْلِ، وَلَوْ أَبْطَلْنَا دَلَالَةَ الْعَقْلِ لَمْ يَصْلُحْ أَنْ يَكُونَ مُعَارِضًا لِلنَّقْلِ، لِأَنَّ مَا لَيْسَ بِدَلِيلٍ لَا يَصْلُحُ لِمُعَارَضَةِ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، فَكَانَ تَقْدِيمُ الْعَقْلِ مُوجِبًا عَدَمَ تَقْدِيمِهِ، فَلَا يَجُوزُ تَقْدِيمُهُ. وَهَذَا بَيِّنٌ وَاضِحٌ، فَإِنَّ الْعَقْلَ هُوَ الَّذِي دَلَّ عَلَى صِدْقِ السَّمْعِ وَصِحَّتِهِ، وَأَنَّ خَبَرَهُ مُطَابِقٌ لِمُخْبِرِهِ، فَإِنْ جَازَ أَنْ تَكُونَ الدَّلَالَةُ بَاطِلَةً لِبُطْلَانِ النَّقْلِ لَزِمَ أَنْ لَا يَكُونَ الْعَقْلُ دَلِيلًا صَحِيحًا، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ دَلِيلًا صَحِيحًا لَمْ يَجُزْ أَنْ يُتَّبَعَ بِحَالٍ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يُقَدَّمَ، فَصَارَ تَقْدِيمُ الْعَقْلِ عَلَى النَّقْلِ قَدْحًا فِي الْعَقْلِ.

فَالْوَاجِبُ كَمَالُ التَّسْلِيمِ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْانْقِيَادُ لِأَمْرِهِ، وَتَلَقِّي خَبَرِهِ بِالْقَبُولِ وَالتَّصْدِيقِ، دُونَ أَنْ يُعَارِضَهُ بِخَيَالٍ بَاطِلٍ يُسَمِّيهِ مَعْقُولًا، أَوْ نُحَمِّلَهُ شُبْهَةً أَوْ شَكًّا، أَوْ يُقَدِّمَ عَلَيْهِ آرَاءَ الرِّجَالِ وَزُبَالَةَ أَذْهَانِهِمْ، فَيُوَحِّدَهُ بِالتَّحْكِيمِ وَالتَّسْلِيمِ وَالْانْقِيَادِ وَالْإِذْعَانِ، كَمَا وَحَّدَ الْمُرْسِلَ بِالْعِبَادَةِ وَالْخُضُوعِ وَالذُّلِّ وَالْإِنَابَةِ وَالتَّوَكُّلِ"[128].

- وقال الشيخ **عبدالرزاق عفيفي**[129]: فيجب على الإنسان أن يتهم عقله وتفكيره بدلًا من أن يتهم رسوله ﷺ، أو الرواة العدول، أو أن يتهم ربه في وحيه، وليثق بربه وبرسوله ﷺ أكثر من ثقته في تفكيره، فإن العقل قاصر، وجُرب عليه الخطأ كثيرًا ومداه محدود، وما يجهله أكثر مما يعلمه.

فعليه أن يعتقد في تفكيره القصور، وأن يعتقد في وحي اللّه الكمال والصدق، وأن يعتقد في الرواة الذين استوفوا شروط النقل المضبوطة المعروفة عند المحدثين الثقة بهم أكثر من ثقته بتفكيره.

هذا جواب على من ينكر الحديث لمعارضته لتفكيره وعقله.

فيُقَال اتهم عقلك بالقصور فإن ما يعلمه أقل مما يجهله، اتهم عقلك بالخطأ وبالجهل في تفكيرك لأنك كثيرًا ما تخطئ، وجُرب عليك هذا، أما هؤلاء العدول الضابطون الذين استوفوا شروط النقل، نقل الأحاديث، فهؤلاء يندر فيهم أن يخطئ أحدهم، وخطؤه إلى جانب صوابه قليل جدًّا، بل نادر.

ومعلوم أن ما ثبت عن النبي ﷺ لا يمكن أبدًا أن يخالف العقل، بل لا بد من أحد أمرين:

1- إما عدم صحة النقل عن النبي ﷺ.

2- وإما فساد العقل.

أما مع صحة النقل وسلامة العقل فلا يمكن التعارض أبدًا.

أما إذا كان من يردون الأحاديث يعتقدون أن الرسول ﷺ قالها؛ ولكن يكذِّبون الرسول ﷺ ويقولون: قوله ﷺ مخالف للعقل، فقولهم غير مقبول، وهو كفر.

أما إذا كانوا لا يعتقدون أن الرسول ﷺ قالها، ويقولون: هذا وهم من الرواة مثلًا، أو خطأ منهم، فتكفيرهم محل نظر! ففرق بين مَن يَرُدُّ قول الرسول ﷺ؛ لأن قوله مخالف للعقل، وبين

مَن يَرُدُّ قول الرسول ﷺ؛ لأنه لم يثبت عنده، ولهذا لا نكفر عمر بن الخطاب ﷺ لما أنكر على القارئ القراءة التي سمعها القارئ من الرسول عليه الصلاة والسلام وعمر ﷺ لم يسمعها؛ لأن عمر ﷺ أنكر آية من القرآن؛ لكنه أنكرها اجتهادًا منه، ظنًا منه أن هذا الرجل لم يتثبت، حتى وصل إلى الرسول ﷺ فأخبره، فأقر قراءة الرجل، ففَرْقٌ بين مَن يَرُدُّ ما قال الرسول ﷺ لمخالفة العقل، وبين مَن يَرُدُّ ما رُوِي عن الرسول لظنه أنه لا يصح.

وفي هذا الفصل نورد نماذج من أحاديث الآحاد التي ردها العقلانيون بحجة مخالفتها للعقل.

المبحث الأول: حديث الذبابة

حديث وقوع الذباب في الإناء من الأحاديث التي أنكرها العقلانيون، بحجة مخالفتها للعقل والواقع، وأن الأخبار التي جاءت من طريق الآحاد وحملتها كتب الحديث فإنها لا تعطي اليقين، وإنما تعطي الظن، والظن لا يغني من الحق شيئًا، فقالوا: وللمسلم أن يأخذ بها ويصدقها إذا أطمأن قلبه بها وله أن يدعها إذا حاك في صدره شيء منها[130].

نص الحديث:

- عن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ، يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ، فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً وَالأُخْرَى شِفَاءً**»[131].

- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ[132]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَمْقُلْهُ**»[133].

- وروى عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الذُّبَابِ يَقَعُ فِي الْمَاءِ فَيَمُوتُ فِيهِ قَالَ: «**لَا بَأْسَ بِهِ**»[134].

- **قال ابن قتيبة الدينوري**[135] في حديث الذباب: إن هذا الحديث صحيح، وقد روي أيضا بغير هذه الألفاظ. حدثنا أبو الخطاب: حدثنا أبو عتاب، قال: حدثنا عبدالله بن المثنى، قال:

حدثني ثمامة قال: وقع ذباب في إناء، فقال أنس بأصبعه[136]، فغمزه في الماء، وقال: "**بسم الله**"، **فعل ذلك ثلاثًا وقال إن رسول الله ﷺ أمرهم أن يفعلوا ذلك، وقال: "في أحد جناحيه سم، وفي الآخر شفاء"**.

- قال أبو محمد بن قتيبة الدينوري

ونقول: إن من حمل أمر الدين على ما شاهد، فجعل البهيمة لا تقول، والطائر لا يسبح، والبقعة من بقاع الأرض لا تشكو إلى أختها، والذباب لا يعلم موضع السم وموضع الشفاء، واعترض على ما جاء في الحديث، مما لا يفهمه، فقال: "كيف يكون قيراط مثل أحد؟ " و"كيف يتكلم بيت المقدس؟ " و"كيف يأكل الشيطان بشماله، ويشرب بشماله؟ " و" أي شمال له؟ " و"كيف لقي آدم موسى - صلى الله تعالى عليهما وسلم -، حتى تنازعا في القدر، وبينهما أحقاب؟ " و"أين تنازعا؟ " فإنه منسلخ من الإسلام، معطل، غير أنه يستعد بمثل هذا وشبهه من القول واللغو والجدال، ودفع الأخبار والآثار، مخالف لما جاء به الرسول ﷺ، ولما درج عليه الخيار من صحابته والتابعين. ومن كذب ببعض ما جاء به رسول الله ﷺ، كان كمن كذب به كله. ولو أراد أن ينتقل عن الإسلام إلى دين لا يؤمن فيه بهذا وأشباهه، لم يجد منتقلا؛ لأن اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والوثنية، يؤمنون بمثل ذلك، ويجدونه مكتوبا عندهم. وما علمت أحدًا ينكر هذا **إلا قوم من الدهرية**، وقد اتبعهم على ذلك قوم من أهل الكلام والجهمية. وبعد، "فما ينكر من أن يكون في الذباب سم وشفاء، إذا نحن تركنا طريق الديانة، ورجعنا إلى الفلسفة؟

وهل الذباب في ذلك إلا بمنزلة الحية؟ فإن الأطباء يذكرون أن لحمها شفاء من سمها، إذا عمل منه الترياق الأكبر، ونافع من لدغ العقارب وعض الكلاب الكلبة، والحمى الربع، والفالج واللقوة[137]، والارتعاش والصرع. وكذلك قالوا في العقرب: إنها إذا شق بطنها، ثم شدت على موضع اللسعة، نفعت.

والذين طعنوا على بعض الأحاديث سواء من جهة شرائط النقل أو بعض معانيه لمخالفة أهوائهم لا يعلمون شيئًا لا عن شرائط النقل ولا عن قوانين الرواية. ثم ذكر أن العقلاء اتفقوا

على أن يُرجع في كل علم إلى أهله والمتخصصين فيه ولا يتكلم في تصحيح الأخبار وتضعيفها إلا أهل الحديث وحدهم دون غيرهم.

وقد روى الحديث ثلاثة من الصحابة هم: أبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالكﷺ.

- وقال **الطحاوي** بعد أن ذكر الحديث: (فقال قائل من أهل الجهل بآثار رسول الله ﷺ وبوجوهها: وهل للذباب من اختيار حتى يقدم أحد جناحيه لمعنى فيه ويؤخر الآخر لمعنى فيه خلاف ذلك المعنى؟ فكان جوابنا له في ذلك بتوفيق الله ﷻ وعونه: أنه لو قرأ كتاب الله ﷻ قراءة متفهم لما يقرؤه منه لوجد فيه ما يدله على صدق قول رسول الله ﷺ هذا، وهو قوله ﷻ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[138]، ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[139]، وكان وحي الله ﷻ إليها هو إلهامه إياها أن تفعل ما أمرها به، كمثل قوله جل وعز في الأرض: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۞ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾[140]. ووحيه لها هو إلهامه إياها ما شاء أن يلهمها إياه، حتى يكون منها ما أراد الله ﷻ أن يكون منها، والنحل كذلك فيما يوحيه إليها؛ ليكون منها ما قد شاء الله ﷻ أن يكون منها. حتى يمضي في ذلك بإلهامه إياها له، وحتى يكون منها ما أراد ﷻ أن يكون منها. فمثل ذلك الذباب ألهمه ﷻ ما ألهمه مما يكون سببا لإتيانه لما أراده منه من غمس أحد جناحيه فيما يقع فيه مما فيه الداء، والتوقي بجناحه الآخر الذي فيه الشفاء[141].

- قال **الشيخ أحمد شاكر**: وهذا الحديث مما لعب به بعض معاصرينا ممن علم وأخطأ وممن علم وعمد إلى عداء السنة وممن جهل وتجرَّأ. منهم من حمل على أبي هريرة وطعن في رواياته وحفظه، بل منهم من جرُؤ على الطعن في صدقه فيما رُوي عنه، حتى غلا بعضهم فزعم أن الصحيحين فيهما أحاديث غير صحيحة -إن لم يزعم أنها لا أصل لها- بما رأوا من شبهات في نقد بعض الأئمة لأسانيد قليلة فيهما، فلم يفهموا اعتراض أولئك المتقدمين الذين أرادوا بنقدهم

أن بعض أسانيدهم خارجة عن الدرجة العليا من الصحة التي التزمها الشيخان، لم يريدوا أنها ضعيفة قط[142].

- **وقال الخطابي**[143]: وقد تكلم في هذا الحديث بعض من لا خلاق له وقال كيف يكون هذا؟ وكيف يجتمع الداء والشفاء في جناحي الذبابة؟ وكيف تعلم ذلك من نفسها حتى تُقدم جناح الداء وتُؤخر جناح الشفاء؟ وما أربها إلى ذلك ؟

- وقال **الخطابي**: قلتُ: وهذا سؤال جاهل، أو متجاهل، وأن الذي يجدُ نفسه ونفوس عامة الحيوان، قد جمع فيها بين الحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة، وهي أشياء متضادة، إذا تلاقت تفاسدت، ثم يرى أن الله سبحانه قد ألف بينها، وقهرها على الاجتماع، وجعل منها قوى الحيوان التي بها بقاؤُها، وصلاحُها، لجدير أن لا ينكرَ اجتماع الداء والشفاء في جزأين من حيوان واحدٍ، وأن الذي ألهم النحلة أن تتخذ البيت العجيب الصنعة، وأن تعسل فيه، وألهم الذرة أن تكتسب قوتها، وتدخره لأوان حاجتها إليه، هو الذي خلق الذبابة، وجعل لها الهداية إلى أن تقدم جَناحًا، وتؤخر جناحًا، لما أراد من الابتلاء الذي هو مدرجة التعبد، والامتحان الذي هو مِضمَارُ التكليف، وفي كل شيء عبرة وحكمة، وما يذكر إلا أولو الألباب.

- أما كلمة الأطباء في هذا الحديث[144]

فقد ذكر كثير من الأطباء أن هذا الحديث صحيح علميًا وجاءوا بأبحاث مستفيضة تفيد أن للذباب أثرًا ضارًا وأثرًا نافعًا، أي في أحد جناحيها دواء والآخر داء[145].

وأنه بخصوص تلوث الذباب بالجراثيم المرضية كجراثيم الكوليرا والتيفود والدوسنتاريا وغيرها التي ينقلها الذباب من المجاري وفضلات المرضى وهي الأماكن التي يرتادها الذباب بكثرة، فمكان هذه الجراثيم يكون على أطراف أرجل الذباب أو في برازها وهذا ثابت في جميع المراجع البكتريولوجية.

ويستدل من كل هذا على أنه إذا وقعت الذبابة على الأكل فإنها تلمس الغذاء بأرجلها الحاملة للميكروبات المرضية مما يؤدي إلى تلوث الغذاء كما ذكرنا بأرجلها، أما الفطريات التي

تفرز المواد المضادة والتي تقتل الجراثيم الموجودة، ولا تنطلق مع سائل الخلية المستطيلة من الفطريات المحتوي على المواد المضادة إلا بعد أن يلمسها السائل الذي يزيد من الضغط الداخلي لسائل الخلية ويسبب انفجار الخلية واندفاع البذور والسائل. وبذلك يحقق العلماء بأبحاثهم تفسير الحديث النبوي الشريف الذي يؤكد ضرورة غمس الذبابة كلها في السائل أو الغذاء، إذا وقعت عليه الجراثيم لإفساد أثر الجراثيم المرضية التي أشار إليها الحديث، وهي أن في أحد جناحيها داء أي في أحد أجزاء جسمها الأمراض المنقولة بالجراثيم المرضية التي حملتها، وفي الآخر شفاء وهو المضادات التي تفرزها الفطريات الموجودة على بطنها والتي تخرج وتنطلق بوجود سائل هو الخلايا المستطيلة. فإذا سقط الذباب في شراب أو طعام وألقى الجراثيم العالقة بأطرافه في ذلك الطعام أو الشراب فأول مبيد لتلك الجراثيم وأقرب واق قريب منه، وغمس الذباب كله وطرحه كاف في إبطال عملها.

- **قال ابن القيم:** "وأما المعنى الطبي، فقال أبو عبيد: معنى (امقلوه): اغمسوه، ليخرج الشفاء منه كما خرج الداء، يُقال للرجلين: هما يتماقلان، إذا تغاطّا في الماء. واعلم أن في الذباب عندهم قوة سُمِّية يدل عليها الورم، والحكة العارضة عن لسعه، وهو بمنزلة السلاح، فإذا سقط فيما يؤذيه اتقاه بسلاحه، فأمر النبي ﷺ أن يُقابل تلك السُّمية المادة النافعة فيزول ضررها، وهذا طب لا يهتدي إليه كبار الأطباء وأئمتهم، بل هو خارج من مشكاة النبوة، ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفَّق يخضع لهذا العلاج، ويقر لمن جاء به بأنه أكمل الخلق على الإطلاق وأنه مؤيد بوحي إلهي خارج عن القوى البشرية[146].

- **قال الشوكاني**[147]: والفائدة في الأمر بغمسه جميعًا هي أن يتصل ما فيه من الدواء بالطعام أو الشراب، كما اتصل به الداء، فيتعادل الضار والنافع فيندفع الضرر. واستدل بالحديث على أن الماء القليل لا ينجس بموت ما لا نفس له سائلة فيه، إذ لم يفصل الحديث بين موت الذباب وحياته عند غمسه.

- **قال الألباني**[148]: فقد ثبت الحديث بهذه الأسانيد الصحيحة، عن هؤلاء الصحابة الثلاثة، أبي هريرة وأبي سعيد وأنس، ثبوتًا لا مجال لرده ولا للتشكيك فيه، كما ثبت، صدق أبي هريرة ﷺ في روايته إياه عن رسول الله ﷺ، خلافًا لبعض غلاة الشيعة من المعاصرين، ومن تبعهم من الزائغين، حيث طعنوا فيه ﷺ لروايته إياه، واتهموه بأنه يكذب فيه على رسول الله ﷺ، وحاشاه من ذلك، فها هوذا التحقيق العلمي يثبت أنه بريء من كل ذلك، وأن الطاعن فيه هو الحقيق بالطعن فيه، لأنهم رموا صحابيا بالبهتان، وردوا حديث رسول الله ﷺ لمجرد عدم انطباقه على عقولهم المريضة!. وقد رواه عنه جماعة من الصحابة كما علمت، وليت شعري هل علم هؤلاء بعدم تفرد أبي هريرة بالحديث، وهو حجة ولو تفرد، أو جهلوا ذلك؟ فإن كان الأول فلماذا يتعللون برواية أبي هريرة إياه، ويوهمون الناس أنه لم يتابعه أحد من الأصحاب الكرام؟! وإن كان الآخر فهلا سألوا أهل الاختصاص والعلم بالحديث الشريف؟.

- فحديث الرسول ﷺ برهان قائم بنفسه لا يحتاج إلى دعم خارج عنه، فعلى الأطباء بل والناس جميعًا التسليم بما جاء في هذا الحديث والتصديق به إن كانوا مسلمين، فالمسلم جل اهتمامه ثبوت الحديث عن رسول الله ﷺ، فإن ثبت له ذلك تلقاه بالقبول. والعلم الحديث يؤيد ما جاء في الحديث ويعضده، ولم يعد للمتشبثين بذلك من حجة يحتجون بها.

- أما زعمهم أن الحديث ليس من عقائد الإسلام ولا من عباداته؛ فهذا وراءه تهوين للحديث، وتنفير للناس عنه، وهي دعوى يلجؤون إليها كلما عجزوا عن إقامة الدليل على صحة ما يزعمون.

- والحديث يُخبر ولا يُلزم، يُخبر من باب لا ضرر ولا ضرار، ولا يُلزم أن يشرب ما في الإناء، أو يطعم، فقد يمر الإنسان بظرف يحتاج فيه إلى كوب من مشروب معين فإذا وقع في الذباب وأراد أن ينتفع به فللمحافظة عليه أمره الشارع الحكيم بأن يغمس الذباب الواقع فيه، وهذا من باب المحافظة على الأموال وعدم إراقتها بما يُسمَّى بطرق المعالجة.

المبحث الثاني: حديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم

من الأحاديث التي كانت محل جدل عند أصحاب المدرسة العقلية في القديم والحديث أحاديث سحر النبي ﷺ، مع أنها أحاديث صحيحة ثابتة، بل في أعلى درجات الصحة، ولا مطعن فيها بوجه من الوجوه، فقد اتفق على إخراجها البخاري ومسلم، ورواها غيرهما من أصحاب كتب الحديث كالإمام أحمد وابن ماجة وغيرهما، وإليك قولهم وبيان وجه الحق في ذلك.

نص الحديث:

- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: **سَحَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ**، يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُوَ عِنْدِي، لَكِنَّهُ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ: " يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ، أَتَانِي رَجُلاَنِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ فَقَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ[149]، وَجُفِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ. قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ[150]" فَأَتَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، أَوْ كَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلِهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ: أَفَلاَ اسْتَخْرَجْتَهُ؟ قَالَ: «**قَدْ عَافَانِي اللهُ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا**» فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ[151].

- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سُحِرَ، حَتَّى كَانَ يَرَى أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاءَ وَلاَ يَأْتِيهِنَّ، قَالَ سُفْيَانُ: وَهَذَا أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنَ السِّحْرِ، إِذَا كَانَ كَذَا، فَقَالَ: " **يَا عَائِشَةُ، أَعَلِمْتِ أَنَّ اللهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ، أَتَانِي رَجُلاَنِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلْآخَرِ: مَا بَالُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمَ - رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ حَلِيفٌ لِيَهُودَ كَانَ مُنَافِقًا - قَالَ: وَفِيمَ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاقَةٍ، قَالَ: وَأَيْنَ؟ قَالَ: فِي جُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، تَحْتَ رَاعُوفَةٍ[152] فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ** " قَالَتْ: فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ البِئْرَ

حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ، فَقَالَ: «هَذِهِ البِئْرُ الَّتِي أُرِيتُهَا، وَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، وَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ» قَالَ: فَاسْتُخْرِجَ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَفَلاَ؟ - أَيْ تَنَشَّرْتَ - فَقَالَ: «أَمَّا اللهُ فَقَدْ شَفَانِي، وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ شَرًّا»[153].

- إن ما أثاره أصحاب المدرسة العقلية حول هذا الحديث، قد سبقهم إليه أهل الزيغ والابتداع من المعتزلة ومن على شاكلتهم، ممن جاء بعدهم.

- فقد أورد ابن قتيبة الدينوري في تأويل مختلف الحديث[154]، هذه الأحاديث من ضمن الأحاديث التي طعن فيها النظَّام وأمثاله من أئمة الاعتزال، الذين لا يقيمون وزنًا للأحاديث والسنن، وزعم الجصاص أنه من وضع الملحدين، وأدعى أبو بكر الأصم أنه متروك ومخالف لنص القرآن.

- ثم جاء أصحاب المدرسة العقلية الحديثة فتلقفوا هذه الآراء، ورددوها تحت مسمى تحكيم العقل، وطرح كل ما يتعارض مع مسلماته وثوابته، ونستطيع تلخيص أقوالهم فيما يأتي:

1- قالوا إن الحديث وإن رواه البخاري ومسلم فهو حديث آحادي، لا يؤخذ به في العقائد، وعصمة النبي ﷺ من تأثير السحر في عقله، عقيدة من العقائد، فلا يؤخذ في إثبات ما يخالفها إلا باليقين كالحديث المتواتر، ولا يكتفى في ذلك بالظن.

2- وأن الحديث يخالف القرآن الكريم الذي هو متواتر ويقيني، في نفي السحر عن النبيﷺ، فالقرآن نعى على المشركين ووبخهم على نسبتهم إثبات السحر إلى النبي ﷺ، فقال سبحانه: ﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۞ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾[155]، وقال جل وعلا: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۞ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾[156].

3- أنه لو جاز على النبي ﷺ أن يتخيل أنه يفعل الشيء وما فعله، لجاز عليه أن يظن أنه بلَّغ شيئًا وهو لم يبلِّغه، أو أن شيئًا ينزل عليه ولم ينزل عليه، وهو أمر مستحيل في حقه ﷺ لأنه يتنافى مع عصمته في الرسالة والبلاغ.

- رد أهل العلم على مزاعمهم تجاه هذه الأحاديث وتفنيدهم لأقوالهم[157]

- فأما ما يتعلق بحجية أخبار الآحاد، فإن الأدلة شاهدة من كتاب الله، وحديث النبي ﷺ وأقوال السلف، بل وإجماعهم -كما نقله غير واحد كالشافعي والنووي والآمدي وغيرهم- على الاحتجاج بحديث الآحاد، وقبول الاستدلال به في العقائد والعبادات على حد سواء، وهي أدلة كثيرة لا تحصى[158]. ويكفي وجود هذه الأحاديث في الصحيحين للجزم بصحتها وثبوتها، وقد أجمعت الأمة على تلقي كتابيهما بالقبول، وليست هي من الأحاديث المنتقدة حتى تستثنى من ذلك.

- أن هذه الأحاديث رُوِيت من طرق عدة في الصحيحين وغيرهما، وعن غير واحد من الصحابة كعائشة، وابن عباس، وزيد بن أرقم ﷺ، وغيرهم؛ مما يبعد عنه احتمال الغلط أو السهو أو الكذب، كما أثبتها واعترف بصحتها رواية ودراية كبار الأئمة الذي هم أرسخ قدماً في هذا الشأن، وفي الجمع بين المعقول والمنقول كالإمام المازري والخطابي، والقاضي عياض، والإمام النووي وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، والإمام ابن كثير، والإمام ابن حجر وغيرهم ممن لا يحصيهم العدُّ، فهل كل هؤلاء الأئمة فسدت عقولهم، فلم يتفطنوا إلى ما تفطن إليه أصحاب العقول؟! لكنه التسليم والانقياد، وتعظيم حديث رسول الله ﷺ، وعدم معارضته برأي أو قياس.

- وأما زعمهم أن الحديث مخالف للقرآن فهو دليل على سوء الفهم، لأن المشركين لم يريدوا بقولهم: (إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا) كما ورد في القرآن، أن النبي ﷺ سُحر فترة يسيرة بحيث لم يتعلق سحره بأمور الرسالة والتبليغ، ثم شفاه الله، وإنما أرادوا بقولهم ذلك إثبات أن ما يصدُر عنه ما هو إلا خيال وجنون في كل ما يقول وما يفعل، وفيما يأتي ويذر، وأنه ليس رسولًا، وأن ما جاء به ليس من الوحي في شيء، وإنما هو خيال مسحور، فغرضهم إنكار رسالته ﷺ، ومن ثم فلا يلزمهم تصديقه ولا اتباعه.

- أما زعمهم بأن هذا الحديث يتنافى مع عصمة النبي ﷺ في الرسالة والبلاغ، فإن الذين صححوا حديث السحر كالبخاري ومسلم وغيرهما، ومن جاء بعدهما من أهل العلم والشراح،

قالوا إن ما حدث للنبيﷺ إنما هو من جنس سائر الأمراض التي تعرض لجميع البشر، وتتعلق بالجسم ولا تسلط لها على العقل أبدًا، وهو أمر يجوز على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

- **قال القاضي عياض**: فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على تمييزه ومعتقده[159].

- أما قول عائشة: "**أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله**"، إما أن يكون في أمور الدنيا لا في أمور الدين والرسالة، وقياس أمور الوحي والرسالة على أمور الدنيا قياس مع الفارق، فإنه بالنسبة لأمور الدين معصوم من الخطأ والتغير والتبدل لا يخالف في ذلك أحدٌ، فللرسول ﷺ اعتباران: اعتبار كونه بشرًا، واعتبار كونه رسولًا، فبالاعتبار الأول يجوز عليه ما يجوز على سائر البشر، ومنه أن يُسحر، وبالاعتبار الثاني لا يجوز ما يخل بالرسالة لقيام الدليل العقلي والنقلي على العصمة منه.

على أنه قد قال بعضهم: إنه لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعل الشيء ولم يكن فعله، أن يجزم بفعله ذلك، وإنما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت.

- وإما أن يكون ذلك التخيل في أمر خاص بينته الروايات الأخرى في الصحيح عن عائشة، وهي رواية الإمام سفيان بن عيينة التي رواها عنه اثنان من كبار شيوخ البخاري الأول شيخه المُسْنَدي، والثاني شيخه الإمام الحميدي، وفيها تقول عائشة: " كان رسول الله ﷺ سحر حتى كان يُرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهنَّ، قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذلك ". فهذه الرواية تبين ما في الرواية الأولى من إجمال، وما هو هذا الشيء الذي كان يخيل إليه أنه فعله ولم يفعله؟.

قال **القاضي عياض**: " يحتمل أن يكون المراد بالتخيل المذكور أنه يظهر له من نشاطه ما ألفه من سابق عادته من الاقتدار على الوطء، فإذا دنا من المرأة فتر عن ذلك كما هو شأن المعقود"[160].

وسواء قلنا بهذا أو بذاك فليس في الحديث أبدًا ما يخل بعصمة النبي ﷺ، فيما يتعلق بالتبليغ والرسالة، - قال **المازري**: "أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث (حديث سحر النبي ﷺ)، وزعموا أنه يحط من منصب النبوة، ويشكك فيها، قالوا: وكل ما أدى إلى ذلك باطل، وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرَّعوه من الشرائع، إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثَمَّ، وأنه يوحى إليه ولم يوح إليه بشيء، وهذا كله مردود، لأن الدليل قد قام على صدق النبي ﷺ، فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ، والمعجزات شاهدات بتصديقه، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل. وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها، ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يعتري البشر كالأمراض، فغير بعيد أن يُخَيَّل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين"، قال: "وقد قال بعض الناس: إن المراد بالحديث أنه كان ﷺ يخيل إليه أنه وطأ زوجاته ولم يكن وطأهن، وهذا كثيرًا ما يقع تخيله للإنسان، وهو في المنام فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة"[161]. ثم ما رأي المنكرين للحديث فيما ثبت في القرآن الكريم منسوبًا إلى نبي الله موسى عليه السلام من أنه تخيل في حبال السحرة وعصيهم أنها حيات تسعى، فهل ينكرون القرآن القطعي المتواتر؟! وهل تخيله هذا أخل بمنصب الرسالة والتبليغ؟! وإذا كان لا مناص لهم من التسليم بما جاء به القرآن الكريم، فلم اعتبروا التخيل في حديث السحر منافياً للعصمة؟! ولم يعتبروه في قصة موسى عليه السلام منافياً للعصمة؟!.

لقد شاء الله سبحانه -وله الحكمة البالغة- أن يبتلي أنبياءه بشتى أنواع البلاء ليعلم الناس أنهم بشر مثلهم، فلا يرفعوهم إلى درجة الألوهية، وليزداد ثواب الأنبياء، وتعظم منازلهم ودرجاتهم عند الله تعالى بما يلاقونه ويتحملونه في سبيل تبليغ رسالات الله.

- **قال ابن القيم:** (وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم بالحديث، مُتَلقًى بالقبول بينهم لا يختلفون في صحته، وقد اعتاص على كثير من أهل الكلام وغيرهم، وأنكروه أشد الإنكار، وقابلوه بالتكذيب، وصنف فيه بعضهم مصنفاً منفردًا حمل فيه على هشام - يعني ابن عروة بن الزبير -، وكان غاية ما أحسن القول فيه أن قال: غلط واشتبه عليه الأمر، ولم يكن من هذا شيء، قال:

لأن النبي ﷺ لا يجوز أن يُسْحَر، فإنه تصديق لقول الكفار: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾[162]، قالوا: فالأنبياء لا يجوز عليهم أن يُسحروا، فإن ذلك ينافي حماية الله لهم، وعصمتهم من الشياطين. وهذا الذي قاله هؤلاء مردود عند أهل العلم، فإن هشاماً من أوثق الناس وأعلمهم، ولم يقدح فيه أحدٌ من الأئمة بما يوجب رد حديثه فما للمتكلمين وما لهذا الشأن؟ وقد رواه غير هشام عن عائشة، وقد اتفق أصحاب الصحيحين على تصحيح هذا الحديث، ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة، والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنن، والحديث، والتاريخ، والفقهاء، وهؤلاء أعلم بأحوال رسول الله ﷺ وأيامه من المتكلمين، ثم أخذ يذكر بعض الروايات في إثبات سحره ﷺ، قال: والسحر الذي أصابه كان مرضاً من الأمراض عارضاً شفاه الله منه، ولا نقص في ذلك ولا عيب بوجه ما، فإن المرض يجوز على الأنبياء، وكذلك الإغماء، فقد أغمي عليه ﷺ، في مرضه، ووقع حين انفكت قدمه، وجُحِشَ شِقه (أي انخدش)، وهذا من البلاء الذي يزيده الله به رفعةً في درجاته، ونيل كرامته، وأشد الناس بلاء الأنبياء؛ فابتلوا من أممهم بما ابتلوا به من القتل والضرب والشتم والحبس، فليس ببدع أن يبتلى النبي ﷺ من بعض أعدائه بنوع من السحر، فلا نقص عليهم ولا عار في ذلك، بل هذا من كمالهم، وعلو درجاتهم عند الله"[163].

المبحث الثالث: حديث نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان

أحاديث نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان من الأحاديث التي أدعى أصحاب المدرسة العقلية أنها لم تبلغ درجة الأحاديث المتواترة التي توجب على المسلم عقيدة، والعقيدة كما يزعمون لا تجب إلا بنص من القرآن أو بحديث متواتر، وعلى ذلك فلا يجب على المسلم أن يعتقد أن عيسى عليه السلام حي بجسمه وروحه، والذي يخالف في ذلك لا يعد كافرًا في نظر الشريعة الإسلامية[164].

نص الحديث:

-عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ**[165] **أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا**[166]**، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ**[167]**، وَيَفِيضَ**[168] **المَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ**»[169].

- عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: "وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ[170]: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[171]"[172].

- عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ[173]، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: " **إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ**"[174].

- عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»، قَالَ: " **فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ**"[175].

- **قال العيني:** فَإِن قلت: مَا الْحِكْمَة فِي نزُول عِيسَى عليه الصلاة والسلام والخصوصية بِهِ؟ قلت: فِيهِ وُجُوه. **الأول**: للرَّدّ على الْيَهُود فِي زعمهم الْبَاطِل أَنهم قَتَلُوهُ وصلبوه، فبيَّن الله تَعَالَى كذبهمْ، وَأَنه هُوَ الَّذِي يقتلهُمْ. **الثَّانِي**: لأجل دنو أَجله ليدفن فِي الأَرْض، إِذْ لَيْسَ لمخلوق من التُّرَاب أَن يَمُوت فِي غير التُّرَاب. **الثَّالِث**: لِأَنَّهُ دَعَا الله تَعَالَى لما رأى صفة مُحَمَّد ﷺ وَأمته أَن يَجعله مِنْهُم فَاسْتَجَاب الله دعاءه وأبقاه حَيا حَتَّى ينزل فِي آخر الزَّمَان ويجدد أَمر الْإِسْلَام، فيوافق خُرُوج الدَّجَّال فيقتله. **الرَّابِع**: لتكذيب النَّصَارَى وَإِظْهَار زيفهم فِي دَعوَاهُم الأباطيل وَقَتله إِيَّاهُم. **الْخَامِس**: أَن خصوصيته بالأمور الْمَذْكُورَة لقَوْله ﷺ: أَنا أولى النَّاس بِابْن مَرْيَم لَيْسَ بيني وَبَينه نَبِي، وَهُوَ أقرب إِلَيْهِ من غَيره فِي الزَّمَان، وَهُوَ أولى بذلك[176].

- من المعلوم أن التمايز بين الناس في ميزان الله ليس بإدراك المشاهدات والمحسوسات، فهذا أمر يحسنه كل أحد، ويستوي فيه المؤمن والكافر، والحصيف والبليد، ولكن الشأن كل الشأن إنما هو في الإيمان بالغيب الذي لا يراه الإنسان ولا يشاهده، إذا قامت عليه الدلائل الصادقة من خبر الله وخبر رسوله ﷺ، فهذا هو الإيمان الذي يتميز به المؤمن عن الكافر، والبر عن الفاجر، لأن مبناه على التصديق التام، والتسليم الكامل لله ولرسوله، بكل يقين ورضا، وعدم معارضة الأخبار بعقل أو رأي.

فالمؤمن حقيقة هو الذي يؤمن بكل ما أخبر الله به، وأخبر به رسوله ﷺ، سواء شاهد ذلك أم لم يشاهده، وسواء عقله وفهمه، أم لم يهتد إليه فهمُه وعقله.

- عن أَبي جُمْعَةَ الْأَنْصَارِيُّ[177]، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَعَنَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ عَاشِرَ عَشَرَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ مِنْ أَحَدٍ أَعْظَمُ مِنَّا أَجْرًا، آمَنَّا بِكَ وَاتَّبَعْنَاكَ، قَالَ: «**وَمَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ ذَلِكَ وَرَسُولُ اللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، يَأْتِيكُمْ بِالْوَحْيِ مِنَ السَّمَاءِ؟ بَلْ قَوْمٌ يَأْتُونَ مِنْ بَعدِكُمْ يَأْتِيهِمْ كِتَابٌ بَيْنَ لَوْحَيْنِ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ أُولَئِكَ أَعْظَمُ مِنْكُمْ أَجْرًا**»[178]

- عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ[179]، قَالَ: ذَكَرُوا عِنْدَ عَبْدِ اللهِ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِيمَانَهُمْ قَالَ: فَقَالَ عَبْدُاللهِ[180]: " **إِنَّ أَمْرَ مُحَمَّدٍ كَانَ بَيِّنًا لِمَنْ رَآهُ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا آمَنَ مُؤْمِنٌ أَفْضَلَ مِنْ إِيمَانٍ بِغَيْبٍ**، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[181] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[182] »[183].

ومن الإيمان بالغيب الإيمان باليوم الآخر وما يسبقه من علامات جاء بها الكتاب، وصحت بها الأخبار عن النبي المختار صلوات الله وسلامه عليه، وتصديقها، وعقد القلب عليها.

وقد دلت الآيات الكريمة على أن نبي الله عيسى عليه السلام رفع من الأرض إلى السماء بروحه وجسده، عندما أراد اليهود قتله وصلبه فلم يمكنهم الله منه، ودلت كذلك على أنه سينزل إلى الأرض مرة أخرى في آخر الزمان علامة على قرب قيام الساعة.

وجاءت الأحاديث الكثيرة عن النبي ﷺ تؤكد هذا المعنى، وتبينه بأفصح عبارة، وأظهر بيان، وأنه ينزل بمشيئة الله عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، حاكمًا بشريعة محمد ﷺ لا ناسخًا لها، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية فلا يقبل من الكفار إلا الإسلام، ويفيض المال، وتنزل البركات والخيرات.

-لقد تعرضت أحاديث نزول عيسى عليه السلام للهجوم والنقد من قبل البعض، لأنها لم ترق لهم، محتجين بحجج واهية، وشبه ساقطة، حيث ادعوا أنه ليس في القرآن نص صريح في رفعه إلى السماء بروحه وجسده، وليس فيه نص صريح أيضًا على نزوله وإنما تلك عقيدة النصارى، كما أن الأحاديث الواردة في نزوله لم تبلغ درجة التواتر، حتى يؤخذ منها عقيدة بنزوله، وإنما هي أحاديث آحاد مضطربة في متونها، منكرة في معانيها، في معظمها يشتد ضعف الرواة، وعليه فلا يجب على المسلم أن يعتقد ذلك[184].

وادعوا كذلك أنها ليست أحاديث محكمة الدلالة؛ ولذا تأولها العلماء.

- وهذا **محمد عبده** تأول نزوله وحكمه في الأرض بغلبة روحه ورسالته على الناس، وهو ما غلب في تعاليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم، والأخذ بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها، والتمسك بلبابها دون قشورها، فالمسيح عليه السلام لم يأت لليهود بشريعة جديدة، ولكنه جاءهم بما يزحزحهم عن الجمود على ظواهر ألفاظ شريعة موسى عليه السلام، ويوقفهم على فقهها والمراد منها، ويأمرهم بمراعاته وبما يجذبهم إلى عالم الأرواح، بتحري كمال الآداب، ثم قال: ولما كان أصحاب الشريعة الأخيرة قد جمدوا على ظواهر ألفاظها، بل وألفاظ من كتب فيها معبرًا عن رأيه وفهمه، وكان ذلك مزهقًا لروحها، ذاهبًا بحكمتها، كان لا بد لهم من إصلاح عيسوي، يبين لهم أسرار الشريعة، وروح الدين وأدبه الحقيقي، وكل ذلك مطوي في القرآن الذي حجبوا عنه بالتقليد الذي هو آفة الحق، وعدو الدين في كل زمان.

- ويقول الشيخ **محمود شلتوت**: "إن حياة عيسى ورفعه بجسمه إلى السماء ونزوله إلى الأرض آخر الزمان لم يثبت شيء منها بدليل قطعي يكون عقيدة يطمئن إليها القلب حتى يكفر من أنكرها"[185].

نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال ثابت صحيح، بالقرآن والسنة المتواترة، والإجماع:

1-الأدلة من القرآن الكريم على رفع عيسى عليه السلام بروحه وجسده ونزوله آخر الزمان:

- **قوله تعالى:** ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[186].

فقد ذكر المفسرون ثلاثة أقوال في المراد بالتوفي في هذه الآية[187]:

الأول: قول الجمهور، ورجحه ابن كثير، وهو أن المراد به توفي النوم، فكلمة الوفاة كما تطلق على الموت تطلق على النوم أيضًا.

الثاني: أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا والتقدير (إني رافعك ومتوفيك) أي بعد النزول وهذا القول منسوب إلى قتادة.

الثالث: أن المراد بالتوفي هو الرفع نفسه، والمعنى: (إني قابضك من الأرض ومستوفيك ببدنك وروحك) وهذا رأي ابن جرير[188].

وجميع هذه الأقوال كما ترى متفقة على أنه رفع حيًا، وإن كان بعضها أصح وأولى بالقبول من بعض.

- سئل **ابن تيمية** [189]-رحمه الله تعالى- عن رجلين تنازعا في أمر نبي الله "عيسى ابن مريم" - عليه السلام - فقال أحدهما: إن عيسى ابن مريم توفاه الله ثم رفعه إليه؛ وقال الآخر: بل رفعه إليه حيا. فما الصواب في ذلك. وهل رفعه بجسده أو روحه أو لا؟ وما الدليل على هذا وهذا؟ وما تفسير قوله تعالى: {إني متوفيك ورافعك إلي}؟ فأجاب: الحمد لله، عيسى عليه السلام حي، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " {ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا وإماما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية} " وثبت في الصحيح عنه: " {أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق وأنه يقتل الدجال} ". ومن فارقت روحه جسده لم ينزل جسده

من السماء، وإذا أحيي فإنه يقوم من قبره. وأما قوله تعالى: {إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا} فهذا دليل على أنه لم يعن بذلك الموت؛ إذ لو أراد بذلك الموت لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين؛ فإن الله يقبض أرواحهم ويعرج بها إلى السماء، فعلم أن ليس في ذلك خاصية. وكذلك قوله: {ومطهرك من الذين كفروا} ولو كان قد فارقت روحه جسده لكان بدنه في الأرض كبدن سائر الأنبياء أو غيره من الأنبياء. وقد قال تعالى في الآية الأخرى: {وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه} فقوله هنا: {بل رفعه الله إليه} يبين أنه رفع بدنه وروحه كما ثبت في الصحيح أنه ينزل بدنه وروحه؛ إذ لو أريد موته لقال: وما قتلوه وما صلبوه؛ بل مات. [فقوله: {بل رفعه الله إليه} يبين أنه رفع بدنه وروحه كما ثبت في الصحيح أنه ينزل بدنه وروحه]. ولهذا قال من قال من العلماء: {إني متوفيك} أي قابضك، أي قابض روحك وبدنك. يقال: توفيت الحساب واستوفيته، ولفظ التوفي لا يقتضي نفسه توفي الروح دون البدن ولا توفيهما جميعا إلا بقرينة منفصلة. وقد يراد به توفي النوم كقوله تعالى: {الله يتوفى الأنفس حين موتها} وقوله: {وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار} وقوله: {حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا} وقد ذكروا في صفة توفي المسيح ما هو مذكور في موضعه. والله تعالى أعلم.

- وقد قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۞ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[190].

وحياته عليه السلام بعد رفعه لا يلزم منها أن تكون كحياة من على الأرض في احتياجه إلى الطعام والشراب، وخضوعه للسنن والنواميس الكونية كسائر الأحياء، وإنما هي حياة خاصة عند الله عز وجل.

كما أن الآيات القرآنية قد دلت أيضًا على نزوله إلى الأرض في آخر الزمان، وذلك في ثلاثة مواضع من القرآن:

الأول: قوله -تعالى-: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[191]. فقد دلت الآية على أنه ليس أحد من أهل الكتاب إلا وسيؤمن بعيسى عليه السلام عبدًا لله ورسولًا من عنده، وذلك سيكون قبل موت عيسى، ومعلوم أن هذا لم يقع حتى الآن، مما يعني أنه مما سوف يقع فيما نستقبله من الزمان، لأن الآية جاءت في سياق تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليمه.

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[192]، فإن الآيات قبلها كانت تتحدث عن عيسى عليه السلام، ولذا فإن الضمير في هذه الآية يعود إليه، فيكون خروجه من علامات الساعة وأماراتها، لأنه ينزل قبيل قيامها، ومما يدل على ذلك القراءة الأخرى (لعَلَم) بفتح العين واللام أي: علامة وأمارة، وهي مروية عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما من أئمة التفسير.

- **قال الطبري**: وقالوا: معنى الكلام: وإن عيسى ظهوره علم يعلم به مجيء الساعة، لأن ظهوره من أشراطها ونزوله إلى الأرض دليل على فناء الدنيا، وإقبال الآخرة[193].

الثالث: قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[194]. وفي هذا الآية عدّد الله تعالى بعض خصائص عيسى ودلائل نبوته، فكان منها كلامه في المهد وهو رضيع، وكلام الرضيع من الخوارق الدالة على النبوة ولا شك، وذكر منها كلامه وهو كهل، والكهولة سن بداية ظهور الشيب، فما هو وجه كون كلامه وهو كهل من الآيات، والكلام من الكهل أمر مألوف معتاد؟! وكيف يحسن الإخبار به لا سيما في مقام البشارة؟! لا بد أن يكون المراد بهذا الخبر أن كلامه كهلًا سيكون آية ككلامه طفلًا، وهذه الحالة لم تقع فيما مضى من حياته التي كان فيها بين الناس لأنه رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فلم يبق إلا أن هذه الخصيصة ستتحقق فيما يستقبل من الزمان، ويكون المعنى أنه سيرفع إلى السماء قبل أن يكتهل، ثم ينزل فيبقى في الأرض أربعين سنة -كما ثبت في الحديث- إلى أن يكتهل، فيكلم الناس كهلًا كما كلمهم طفلًا، وتتحقق له هذه الآية والمعجزة التي أخبر الله عنها في كتابه.

- أما عن زعمهم أن الأحاديث التي جاء فيها نزول عيسى عليه السلام أحاديث آحاد ولا تقوم بها الحجة، وأن نزوله ليس عقيدة من عقائد المسلمين يجب الإيمان بها، فزعمهم هذا باطل؛ لأنه إذا ثبت الحديث عن النبي ﷺ وجب الإيمان به، وتصديق ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ، ولا يجوز لنا رده بحال من الأحوال. فخبر الآحاد الذي يصححه أهل الحديث ويقبلونه حجة في العقائد والأحكام، بإجماع الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وتابعيهم، فإنهم كانوا يروون أحاديث الآحاد في العقائد، ويعتقدون بما تضمنته من الأمور الغيبية، ولا يفرقون بينها وبين أحاديث الأحكام في شروط القبول وأسباب الرد، بل يوجبون في أحاديث العقائد ما يوجبونه في أحاديث الأحكام من التثبت والتحري[195].

- **قال ابن حبان**: فأما الأخبار فإنها كلها أخبار آحاد؛ لأنه ليس يوجد عن النبي ﷺ خبر من رواية عدلين روى أحدهما عن عدلين وكل واحد منهما عن عدلين حتى ينتهي ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللهِﷺ؛ فلما استحال هذا وبطل ثبت أن الأخبار كلها أخبار الآحاد وأن من تنكب عن قبول أخبار الآحاد فقد عمد إلى ترك السنن كلها لعدم وجود السنن إلا من رواية الآحاد[196].

- أما أحاديث نزول عيسى عليه السلام فقد جاءت متواترة عن النبي ﷺ، فقد نص العلماء على تواترها كالآتي[197]:

- **قال ابن جرير الطبري**: بعد أن ذكر الخلاف في معنى وفاة عيسى: (وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قولُ من قال: معنى ذلك: (إني قابضك من الأرض ورافعك إليّ)، لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: "ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال"[198]، ثم ساق بعض الأحاديث الواردة في نزوله.

- قال **ابن كثير**[199]: وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ، أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إمامًا عادلًا وحكمًا مقسطًا. ثم ذكر أكثر من ثمانية عشر حديثًا.

- فأحاديث نزوله عليه السلام في آخر الزمان ثابتة بالتواتر المعنوي، ولو كانت آحادًا لكان واجبًا علينا التسليم بها، والإيمان بمضمونها، فكيف وقد ثبتت بالتواتر.

وأما زعمهم بأنها أحاديث مضطربة في متونها، منكرة في معانيها فهي دعوى غير صحيحة لأن تلك الروايات كلها متفقة على الإخبار بنزول عيسى وأنه يقتل الدجال والخنزير، ويكسر الصليب. وغاية ما في الأمر أن بعضًا منها يفصل ذلك، وآخر يجمله، وبعضًا يوجز وآخر يطنب، كطريقة القرآن حين يورد القصة الواحدة في سور متعددة، بأساليب مختلفة، يزيد بعضها على بعض، بحيث لا يمكن جمع أطراف القصة إلا بقراءة كل السور التي ذكرت فيها.

فجعْل هذا الاختلاف الذي يقوي شأن الحديث، ويدل على تعدد مخارجه، من باب التعارض الموجب للاضطراب خطأٌ بيّنٌ، وعلى فرض وجود هذا التعارض فإن الجمع بين هذه الأحاديث بما ينفي عنها صفة الاضطراب غير متعذر، هذا لو قلنا بوجود التعارض فيما بينها.

وأما زعمهم بأنها ليست محكمة الدلالة، ومن أجل ذلك أوّلها العلماء فهو زعم باطل لا أساس له من الصحة، بل هو تحريف وتبديل للنصوص الثابتة الصريحة من غير ما حجة ولا قرينة، فقد نصت الأحاديث صراحة على نزوله عليه السلام بشخصه وصفته، بين مهرودتين، واضعًا يديه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، وأنه يدرك الدجال بباب لُدّ فيقتله، ويأتي قوما قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة...إلخ. ونصت على أنه يمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون كما في مسند أحمد بسند صحيح، فهل يصح من عاقل يعرف اللغة ومفرداتها، فضلًا عمن ينتسب إلى العلم أن يفسر ذلك بغلبة رسالته، وتعاليمه التي تأمر بالرحمة والمحبة والسلم، وتدعو إلى الأخذ بمقاصد الشريعة دون ظواهرها، وهل يعقل أن يكون الذي يدفن ويصلي عليه المسلمون هو تعاليمه ورسالته[200].

- ونزول عيسى عليه السلام قد دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، فقد دلت على رفعه إلى السماء، وأنه حي بروحه وجسده، وأنه سينزل في آخر الزمان، وانعقد الإجماع على ذلك، ولذا فإنه يجب على كل مسلم أن يؤمن بما دلت عليه تلك النصوص، وأن يعقد قلبه عليها، لأن هذه المسألة من مسائل الإيمان بالغيب، وإلا لما كان لذكرها أي فائدة، ومن أجل ذلك ذكر أهل العلم نزول عيسى عليه السلام، وقتله الدجال، في عقيدة أهل السنة والجماعة.

- قال **ابن قدامة المقدسي**[201]: (يجب الإيمان بكل ما أخبر به رسول الله ﷺ وصح به النقل عنه فيما شهدناه أو غاب عنا، نعلم أنه حق وصدق، سواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه..، ومن ذلك أشراط الساعة مثل خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صح به النقل).

- وقال **الطحاوي**[202]: (ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء).

- وقال **شيخ الإسلام ابن تيمية**[203]: (والمسيح -صلى الله عليه وعلى سائر النبيين- لا بد أن ينزل إلى الأرض... كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة، ولهذا كان في السماء الثانية، مع أنه أفضل من يوسف وإدريس وهارون، لأنه يريد النزول إلى الأرض قبل يوم القيامة بخلاف غيره، وآدم كان فى سماء الدنيا، لأن نسم بنيه تعرض عليه).

- قال **القاضي عياض**[204]: (ونزول عيسى وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة؛ للأحاديث الصحيحة في ذلك، وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله فوجب إثباته).

فالواجب على كل مسلم، كمال التسليم للرسول ﷺ والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون معارضته بعقل أو رأي، وأن يوحِّد الرسول بالتحكيم والتسليم، والانقياد والإذعان، كما يوحد المرسِل بالعبادة والخضوع، والذل والإنابة والتوكل، وهذا هو مقتضى شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

- فإن من أصول أهل السنة والجماعة: "ألا نعارض سنة رسول الله ﷺ، بالمعقول؛ لأن الدين إنما هو الانقياد والتسليم، دون الرد إلى ما يوجبه العقل؛ لأن العقل ما يؤدي إلى قبول السنة، فأمّا ما يؤدي إلى إبطالها فهو جهل لا عقل"[205].

المبحث الرابع: حديث الجساسة

حديث الجساسة من الأحاديث التي أشكلت على أصحاب المدرسة العقلية، فإن الحديث -بطوله ومشكلاته وغرائبه- انفرد مسلم بإخراجه، وانفردت فاطمة بنت قيس براويته عن النبيﷺ.

نص الحديث:

- عن فاطمة بنت قيس[206] قالت: سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي، مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، يُنَادِي: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «**لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " إِنِّي وَاللهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ، لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ[207] كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمِ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَأُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ، مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ[208]، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا، حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا

إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا، هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً - أَوْ وَاحِدًا - مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: «هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ» - يَعْنِي الْمَدِينَةَ - «أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ، أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ، أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ» وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ، قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ "[209].

- وأكثر ما أثير من جدل حول تميم ورواياته حديث الجساسة، وهو حديث أخرجه الإمام مسلم، وروته فاطمة بنت قيس رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ، وهو يحدث الناس عن الدجال، كما سمعه من تميم الذي كان نصرانيًا ثم جاء فأسلم، وحدث النبيَّ ﷺ بحديث يوافق ما كان يحدث ﷺ أصحابه عن الدجال وصفته. فأدعى بعض من الناس أنه لمجاورة النبي ﷺ لأهل الكتاب، والاختلاط بهم، ودخول البعض منهم في الإسلام، دور كبير في أخذه عنهم الكثير من الأمور، وإعادة صياغته بشكل أو بآخر ليصبح من مكوّنات الدين الجديد، وما كان هدفهم من

ذلك إلا الحط من شأن الرسالة الخاتمة، من خلال إظهار أن النبي ﷺ لم يأت بجديد فيما يتعلق بقضايا الغيب والإيمان، وإنما هي أمور وعبادات وأفكار كانت موجودة أصلًا.

- ثم تلقى هذا الكلام بعض العقلانيين واعتبروه من المسلمات فشككوا في أحاديث صحيحة ثابتة مروية في أصح الكتب والمصادر، بحجة دس أهل الكتاب لها.

- فالأئمة والحفاظ من أمة محمد ﷺ قد جعلوا رواية النبي ﷺ لهذه القصة من مناقب تميم ﷺ، ومن رواية الأكابر عن الأصاغر.

- قال **النووي**: وقد روى عنه النبي ﷺ قصة الجساسة وهذه منقبة شريفة لتميم ويدخل في رواية الأكابر عن الأصاغر، والله أعلم بقوله[210].

- أما العقلانيون فقد قال أبو رية في كتابه (أضواء على السنة المحمدية)[211]: " إذا كانت الإسرائيليات قد لوثت الدين الإسلامي بمفترياتها، فإن المسيحيات كان لها كذلك نصيب مما أصاب هذا الدين، وأول من تولى كبر هذه المسيحيات هو تميم بن أوس الداري.... ثم عرض لأحاديث زعم أنها من المسيحيات ومنها حديث الجساسة، الذي تهكم به ساخرًا ومستهزئا بقوله: لعل علماء الجغرافيا يبحثون عن هذه الجزيرة ويعرفون أين مكانها من الأرض حتى نرى ما فيها من الغرائب التي حدثنا بها سيدنا تميم الداري".

- فالحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه وهو أمر كافٍ في الحكم عليه بالصحة ووجوب قبوله، لما علم من مكانة أحاديث الصحيح وتلقي الأمة لها بالقبول، والحديث رجاله ثقات عدول لا مطعن في واحد منهم، ومع ذلك فقد رواه -غير مسلم- الإمام أحمد، وأبو يعلى، وأبو داود، وابن ماجة، ورواه غير فاطمة بنت قيس من الصحابة: أبو هريرة، وعائشة، وجابر -رضوان الله عليهم-، مما يدل على تعدد مخرجه وكثرة طرقه، فالحديث لم ينفرد به الإمام مسلم، ولم تنفرد بروايته فاطمة بنت قيس.

- قال **ابن حجر**[212]: (وقد توهم بعضهم أنه غريب فرد، وليس كذلك...، ثم أخذ في ذكر طرق الحديث ومن رواه من الصحابة).

- أيضًا قالوا أن رواية النبي ﷺ، لهذا الحديث عن تميم لا تلحقه بما حدَّث به من تلقاء نفسه، ولا تدل على تصديقه للقصة أو إقراره بصحتها. وعلى فرض التصديق والإقرار، فإن النبي ﷺ لم يكن يعلم الغيب، وهو كسائر البشر يحمل كلام الناس على الصدق إذا لم تحف به شبهة، وتصديق الكاذب فيما لا يخل بأمر الدين ولا يترتب عليه حكم شرعي ليس من الأمور التي يعصم عنها الأنبياء.

- فهذا الادعاء بأن الحديث لا يدخل تحت التقرير غير مسلَّم؛ لأن التقرير كما عرفه أهل العلم من الأصوليين وغيرهم: " أن يسكت النبي ﷺ عن إنكار قول قيل، أو فِعْلٍ فُعِلَ بين يديه أو في عصره وعلم به "، وقد حدَّث النبي ﷺ بهذا الحديث على المنبر، وفي جمع من الصحابة، واعتبره موافقًا لما كان يحدثهم به عن المسيح الدجال وغيره من أشراط الساعة الكبرى، فكيف يقال إن مثل هذا لا يدخل تحت التقرير؟!.

- قال **ابن حجر**[213]: "وقد اتفقوا على أن تقرير النبي ﷺ لما يفعل بحضرته أو يقال ويطلع عليه بغير إنكار، يدل على الجواز لأن العصمة تنفي عنه ما يحتمل في حق غيره مما يترتب على الإنكار فلا يقر على باطل".

وأما الزعم بأنه ليس من أمور الدين التي يعصم الأنبياء عن تصديق الكاذب فيها فهو أشد امتناعًا، إذ كيف لا نعتبر أخبار أشراط الساعة وقضايا الإيمان باليوم الآخر من أمور الدين، وهل جاء الرسولﷺ إلا لبيان ذلك؟!.

ثم لو كان ما حدث به تميم ﷺ كذبًا، فهل من الممكن أن يسكت الوحي عن بيان الحق فيما أخبر به، خصوصًا وأن الأمر يتعلق بمسألة غيبية، كما حدث في كثير من الحالات، حينما كان المنافقون وأضرابهم يقولون خلاف ما يبطنون، فينزل الوحي فاضحًا لهم ومبينًا كذبهم. على أن النبي –صلوات الله وسلامه عليه - قد أخبر في غير ما حديث، عن الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان، حكمًا عدلًا بشريعة نبينا محمد ﷺ فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، وعلى يديه يكون قتل الدجال، وكل هذا مروي من طرق متكاثرة في الصحيحين وغيرهما من كتب السنن

المعتمدة، فإخبار النبي ﷺ بهذه الأشراط لم يكن متوقفًا على إخبار تميم ﷺ، وإنما انتهز النبي ﷺ فرصة تحديث تميم بهذه القصة ليبين لهم أن ما حدَّثهم به حقٌ وواقع لا شك فيه. وعلى التسليم بأن هذا الحديث من الإسرائيليات، فهو من النوع الصحيح المقبول الذي ينبغي تصديقه لموافقته لما جاء في شريعتنا، يشهد لذلك قوله ﷺ: (**وحدثني حديثًا وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال**)، وقد فسر جمع من المفسرين الدابة الواردة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[214]، بأنها الجساسة التي ورد ذكرها في حديث تميم كما هو مروي عن عبدالله بن عمرو، وإذا كان الأمر كذلك فيكون في الآية تصديق لهذا الحديث، لا سيما أن الآية لا تنفي وجودها قبل يوم القيامة، فإن المعلق على القول خروج الدابة لا وجودها، فقد تكون موجودة قبل هذا.

- قال **القاضي عياض**[215]: هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى، من إحياء الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره ونهريه واتباع كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره، ويقتله عيسى ﷺ، ويثبت الله الذين آمنوا. هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة.

فخلاصة القول إن هذا الحديث صحيح، ومؤيد لأحاديث الدجال وأشراط الساعة، واتهام تميم ﷺ بالكذب وتلويث الإسلام، طعن في هذا الصحابي الجليل الذي تشهد له سيرته بالزهد والعبادة والصلاح، بل هو طعن في النبي ﷺ ورسالته، وكفى بذلك إثمًا وبهتانًا مبينًا.

ومن المعلوم أن النص متى ثبتت صحته صار أصلًا من أصول الشرع فلا يعارض بقياس ولا عقل.

قال ابن السمعاني: (متى ثبت الخبر صار أصلا من الأصول ولا يحتاج إلى عرضه على أصل آخر؛ لأنه إن وافقه فذاك، وإن خالفه فلا يجوز رد أحدهما لأنه رد للخبر بالقياس وهو مردود باتفاق، فإن السنة مقدمة على القياس بلا خلاف)[216].

- وأختم هذا المبحث بقول **شيخ الإسلام ابن تيمية**: فهدى الله الناس ببركة نبوة محمد ﷺ، وبما جاء به من البينات والهدى، هداية جلت عن وصف الواصفين، وفاقت معرفة العارفين، حتى حصل لأمته المؤمنين عمومًا، ولأولي العلم منهم خصوصًا، من العلم النافع، والعمل الصالح، والأخلاق العظيمة، والسنن المستقيمة، ما لو جمعت حكمة سائر الأمم، علمًا وعملًا، الخالصة من كل شوب، إلى الحكمة التي بعث بها، لتفاوتا تفاوتًا يمنع معرفة قدر النسبة بينهما، فلله الحمد كما يحب ربنا ويرضى [217].

الخاتمة:

تناول هذا البحث جزءًا مما تعرضت له السنة النبوية الشريفة؛ وهي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد كتاب الله العزيز، من الهجمات منذ زمن بعيد، وحتى العصر الحديث الذي قام فيه العقلانيون وطفقوا يقذفون بأفكارهم في كل اتجاه دون إصابة الهدف منها بفضل الله، ثم بفضل المخلصين من أمة محمد ﷺ الذين نذروا أنفسهم للدفاع عن السنة وحمايتها من الغالين، والمبطلين، فكانوا بالمرصاد للعقلانيين، الذين ردوا بعض نصوص السنة لمخالفتها العقل أو لمعارضتها المستقر في بعض الأذهان، هذا وقد توصلت من خلال دراستي لهذا الموضوع إلى النتائج الآتية:

. أكد البحث على عناية الإسلام بالعقل، وإعطائه المكانة التي هو حقيق بها، وتنبيه المسلمين إلى خطر هذه الأفكار، وأهمية العودة إلى المنهج الرباني القويم الذي يرضي الله ورسوله، ويكتب للناس السعادة في كنفه في الدنيا والآخرة، ورد البدع وكشف الشبهات، والذبَّ عن السنة النبوية، وتصحيح الأخطاء، ورد الأمة إلى منهج السنة القويم، منهج سلفنا الصالح، والذبّ عن

بعض الأحاديث التي ردتها المدرسة العقلية قديمًا وحديثًا؛ لمخالفتها للعقل كما يزعمون، وبيان خطئهم في ذلك.

- أن سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم لم يقدموا العقل على النص الوارد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولم يهملوا العقل، بل أعملوه حيث جاز له أن يعمل، وتوقفوا عند الأمور التي لا يجوز إعمال العقل فيها.

- أن العقل ناقص عاجز عن إدراك حقائق الأشياء، فلا يمكن أن يكون حاكمًا على دين الله، بالإضافة إلى أن العقول متفاوتة ومتباينة فلا يمكن أن تعطي أحكامًا منسجمة كأحكام الوحي.

- أن السنة النبوية (المتواتر، والآحاد)، حجة يجب العمل بها في العقائد والأحكام، ولا يجوز أن يتقدم عليها عقل، ولا رأي، ولا اجتهاد.

- رد الأحاديث بحجة مخالفتها للعقل أحدث زعزعة في كثير من العقائد، وعدم احترام لنصوص الوحي، وتهوينا من شأن السنة، والمنجاة من ذلك هو التسليم لأمر الله ورسوله ﷺ.

- أن الأحاديث التي فيها أخبار عن الأمم الماضية، أو أخبار عن عالم الغيب مما لا يقع تحت النظر كشؤون السماوات والساعة والحشر والجنة والنار، ليس فيها ما يحكم العقل ببطلانه، وقد يكون فيها ما لا يدركه العقل فيستغربه.

- أن الله حفظ سنة نبيه ﷺ، برجال علماء أفذاذ في كل مجال من مجالات الشرع، فقد ألف العلماء الكثير من المؤلفات في الرد على العقلانيين ومن كان على شاكلتهم، فلم يعد هناك مجال لهم في التعدي على السنة المطهرة.

- أن المدرسة العقلية الحديثة امتداد للمدرسة العقلية القديمة، فقد تأثر أصحاب المدرسة العقلية الحديثة بمنهج المعتزلة في موقفهم من نصوص الوحي وردها بالعقل، فساروا على طريقتهم، حذو القذة بالقذة، مع جهلهم بالسنة وضعف فهمهم لهذا الدين.

- تأثر كثير من أبناء المسلمين بالمستشرقين فقلدوهم في كل شيء حتى في موقفهم من الإسلام.

- وأخيرًا فإن أحاديث السنة النبوية محفوظة، محفوفة بكل العناية في القديم والحديث من علماء أفذاذ، ومخلصين لم يتركوا مجالا لأي ناعق على سنة نبيهم وحبيبهم عليه الصلاة والسلام، فما تناولت حديثًا بالدراسة لأتعرف على موقف العقلانيين منه إلا وجدت العلماء قد كان لهم السبق في الذب عنه بكل ما أوتوا من الدلائل والبراهين، ابتداءً من الصحابة والتابعين ومن تبعهم، ومن سار على نهجهم من أمة محمد ﷺ، فوجدت ذلك في كتبهم، حتى أن الواحد منهم ليضع مؤلفًا من مئات الصفحات للرد على كل من يتجرأ على مصادر الشريعة (القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة).

وفي الختام أوصي الباحثين في درجتي الماجستير والدكتوراه بتناول مثل هذه الموضوعات التي أشعر أنها ما زالت بحاجة إلى مزيد من الجهد من المتخصصين في الحديث وعلومه، فمن أجمل الأبحاث التي وقفت عليها في هذا الموضوع ما ساهم به علماء الحديث؛ وذلك من خلال تناولهم للأحاديث بالدراسة والتحليل، ودراسة الأسانيد ثم الخروج بحكم على الحديث لا يبقي لأحد مجالا إلا التسليم والقبول بالحديث؛ لأنه عندما يصح السند فإنه لا مجال لرد الحديث.

الهوامش والإحالات:

(1) ينظر: دروس للشيخ علي بن عمر بادحدح، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net بترقيم الشاملة آليا، تاريخ الإضافة: 18 يونيو 2011 م 45/4.

(2) ومنها زعمهم مخالفة السنة النبوية للعقل.

(3) وأقصد بها الشُبه التي أثارها أصحاب المدرسة العقلية حول الأحاديث النبوية، والتي سوف أذكر نماذج منها في البحث.

(4) أرشيف ملتقى أهل التفسير، أعده للشاملة: أبو محمد المصري، أدخله: أبو زرعة حازم من أعضاء ملتقى أهل الحديث، 2685/1.

(5) بعد قراءتي لموضوع المدرسة العقلية ظهر لي أن هذا الموضوع واسع ومتشعب حتى الذين خاضوا فيه من العلماء قديمًا وحديثًا ذكروا ذلك فقصروا عملهم في كتاباتهم على جزئية محددة فيه؛ لذلك قصرت عملي على ما اخترت الكتابة فيه، ولعل الله ييسر لي متابعة الموضوع فيما بعد والله الموفق.

(6) العقل: العقل لغة العلم، وعليه اقتصر كثيرون. ع ق ل: (العقل) الحجر والنهى. ورجل (عاقل) و(عقول) وقد (عقل) من باب ضرب و(معقولًا) أيضا وهو مصدر. وقال سيبويه: هو صفة. وقال إن المصدر لا يأتي على وزن مفعول ألبتة. و(العقل) أيضا الدية. و(العقول) بالفتح الدواء الذي يمسك البطن. و(المعقل) الملجأ وبه سمي الرجل. وهو العلم بصفات الأشياء، من حسنها وقبحها، وكمالها ونقصانها، أو العلم بخير الخيرين، وشر الشرين، أو مطلق الأمور، أو لقوة بها يكون التمييز بين القبح والحسن، ولمعانٍ مجتمعة في الذهن. ينظر: الرازي، زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الحنفي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط5، 1420هـ - 1999م، ص215، ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط3، 1414هـ، 458/11، الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط8، 1426هـ - 2005 م، 1033/1.

العقل: جوهر مجرد عن المادة في ذاته، مقارن لها في فعله، وهي النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله: أنا، وقيل: العقل: جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقًا ببدن الإنسان، وقيل: العقل: نور في القلب يعرف الحق والباطل. والعقل: ما يعقل به حقائق الأشياء، قيل: محله الرأس، وقيل: محله القلب. ينظر: الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، التعريفات، ضبطه وصححه: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ -1983م، ص152، الفيروزآبادى، القاموس المحيط، 1033/1.

(7) سورة الملك: 23.

(8) سورة الإسراء: 36.

(9) ينظر: عثمان جمعة ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، تقديم: عبد الله بن عبدالكريم العبادي، مكتبة السوادي للتوزيع، ط2، 1417هـ-1996م، ص: 186 - 191.

(10) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ط 2، 1427هـ - 2007م، كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حدًا، 140/4، ح 4401. وقال الألباني: صحيح.

(11) أبو داود، سنن أبي داود، 141/4، ح 4403. وقال الألباني: صحيح.

(12) ينظر: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري الحراني (661 هـ، 728هـ/1263م - 1328م)، الاستقامة، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، ط1، 1403هـ، 157/2.

(13) سورة آل عمران: 190 - 191.

(14) سورة البقرة: 170.

(15) قال الإمام السمعاني: "إن الله تعالى أسّس دينه وبناه على الاتباع، وجعل إدراكه وقبوله بالعقل".
ينظر: الأصبهاني، أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي، الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية، الرياض، ط2، 1419هـ - 1999م، 317/1.

(16) محمد بن قطب بن إبراهيم، مذاهب فكرية معاصرة، دار الشروق، ط1، 1403هـ-1983م، ص53، فهد الرومي، منهج المدرسة العقلية في التفسير، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1407هـ، 29/1-39.

(17) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط17، 1412هـ، 807/2.

(18) سورة الحشر: 7.

(19) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب كيف المسح، 42/1، ح 162. وقال الألباني: صحيح.

(20) ينظر:عثمان جمعة ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ص 192. وانظر: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ - 1995م، 338/3 - 339.

(21) وانظر: الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1983م، ص 140-142. عثمان جمعة ضميرية، مدخل إلى دراسة العقيدة الإسلامية، ص151-152.

(22) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي)، ط1، 1422هـ، باب قول الله تعالى: (ياأيها الرسول بلغ)، 154/9.

(23) ينظر: ابن أبي العز، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1، 1418هـ، ص 201- 202، و الأصبهاني، الحجة في بيان المحجة، 317/1.
وابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية، بيروت، 112/2، الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ- 1997م، 87/1.

(24) ينظر: موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول: (21/1).

(25) المتواتر لغة: المتتابع، سمي بذلك: من تَوَاتر الرِّجَال إِذا جَاءُوا وَاحِدًا بعد وَاحِد بَينهمَا فَتْرَة. ينظر:

السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبدالرحمن بن محمد، الغاية في شرح الهداية في علم الرواية، تحقيق: أبو عائش عبدالمنعم إبراهيم، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط1، 2001م، ص138.

(26) السخاوي،الغاية في شرح الهداية في علم الرواية، ص 140، القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ص146.

(27) المناوي، زين الدين محمد، المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين، اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر، تحقيق: المرتضي الزين أحمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط1،1999م، 237/1.

(28) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، فتح الباري شرح صحيح البخاري،، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، 203/1.

(29) السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبدالرحمن، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة، مصر، ط1، 1424هـ/ 2003م، 41/3 - 42.

(30) السمنية (كعُزَيَّة)، قوم بالهند دهريون قائلون بالتناسخ، وَتُنْكِرُ وقوعَ الْعِلْمِ بالإِخبار أهـ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 220/13، الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبدالرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق، مجموعة من المحققين، دار الهداية، 251/34.

(31) ينظر: الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المستصفى، تحقيق: محمد عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ - 1993م، ص 106.

(32) قلت: والكعبي وأبو الحسين البصري هما من المعتزلة.

(33) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: أحمد عزو عناية، قدم له: خليل الميس وولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي، دمشق، ط1، 1419هـ - 1999م، 128/1.

(34) العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق: عبدالله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير، الرياض، ط1، 1422هـ، ص41.

(35) الآحاد لغة: ما يرويه شخص واحد. ينظر: العسقلاني، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، ص 50.

(36) المرجع السابق، ص 51.

(37) ينظر: أمير بادشاه، محمد أمين بن محمود البخاري، تيسير التحرير شرح كتاب التحرير، دار الفكر، بيروت، 37/3.

(38) قلت: وهو القول الحق والذي عليه جمهور العلماء.

(39) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، اختصره: محمد بن محمد بن عبدالكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1422هـ - 2001م، ص 555 - 575.

(40) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد محمد شاكر، قدم له: إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 137/1، ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلة، ص 568.

(41) علاء الدين، عبدالعزيز بن أحمد بن محمد، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت، 371/2.

(42) ينظر: العسقلاني، نزهة النظر شرح نخبة الفكر، ص 10.

(43) ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، 16/18 - 17.

(44) ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، اختصار علوم الحديث، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، ص 36.

(45) الحسني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد، المعروف كأسلافه بالأمير، توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، تحقيق: أبي عبدالرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ-1997م، 31/1.

(46) القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبدالكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387هـ، 7/1، ابن تيمية، المسودة في أصول الفقه، بدأ بتصنيفها الجدّ: مجد الدين عبدالسلام بن تيمية، وأضاف إليها الأب: عبدالحليم بن تيمية، ثم أكملها الابن الحفيد: أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتاب العربي، ص 244.

(47) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، 1388هـ، ص 6.

(48) ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، دمشق، ط1، 1389هـ، 125/1.

(49) قلت: فالجميع يوجبون العمل بخبر الواحد إذا توافرت فيه شروط القبول.

(50) ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلة، ص 604.

(51) سورة النجم: 23.

(52) سورة النجم: 28.

(53) سورة الأعراف: 33.

(54) سالم الهنساوي، السنة المفترى عليها، دار البحوث العلمية، الكويت، 1401هـ، ص154، الألباني، أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين، الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، مكتبة المعارف، ط1، 1425هـ-2005م، ص 62.

(55) الْمِقْدَامُ بْنُ مَعْدِ يكَرِبَ، الْكِنْدِيُّ وَيُكْنَى أَبَا يَحْيَى، تُوُفِّيَ بِالشَّامِ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ، فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى وَتِسْعِينَ سَنَةً. ينظر: ابن سعد، أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1968 م، 415/7، الكلاباذي، أبو نصر البخاري، أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن، الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، تحقيق: عبدالله الليثي، دار المعرفة، بيروت، 1407هـ، 727/2، رقم 1210.

(56) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ط 2، 1427هـ - 2007 م، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، 38/5، ح 2666. قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ». وقال الألباني: صحيح، وابن ماجة، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ط 2، 1427هـ - 2007م، باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه، 9/1، ح 21.

(57) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964 م، 332/16.

(58) ينظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، الفقيه والمتفقه، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي، السعودية، 1417هـ، ص 110.

(59) سورة الحجرات:6.

(60) الجكني، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، 1415هـ - 1995م، 627/7.

(61) سورة النور: 63.

(62) ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلة، ص 603.

(63) سورة النساء: 59.

(64) ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلة، ص 603.

(65) سورة النجم: 3 - 4.

(66) سورة الأنعام: 50.

(67) سورة الحجر: 9.

(68) سورة النحل: 44.

(69) سورة الأنعام: 19.

(70) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، 36/1.

(71) الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه: ص 113-114.

(72) المسور بن مخرمة، بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي، أبو عبدالرحمن الزهري (أمه الشفاء بنت عوف)، (2هـ -64هـ)، صحابي، روى له (البخاري - مسلم - أبو داود - الترمذي - النسائي - ابن ماجة). ينظر: العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، 93/6، رقم 8011.

(73) الطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، 8/20، ح 12. قال الهيثمي: «وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف». ينظر: الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ، 1994 م، 305/5.

(74) ينظر: ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلة، ص 609.

(75) عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو العباس المدني (ابن عم رسول الله ﷺ)، توفي ودفن بالطائف سنة (68هـ). ترجمان القرآن، حَبْرُ الأُمَّةِ، وَفَقِيْهُ العَصْرِ، وَإِمَامُ التَّفْسِيْرِ. البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبدالمعيد خان، 3/5، رقم 5، والعسقلاني، الإصابة، 121/4، 4799.

(76) البخاري، صحيح البخاري، 128/2، ح 1496، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم = صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 50/1، ح 19.

(77) العسقلاني، فتح الباري، 360/3.

(78) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبدالرحمن، صحابي جليل، توفي سنة 32 أو 33هـ بالمدينة. ابن سعد، الطبقات الكبرى، 150/3، العسقلاني، الإصابة، 198/4، رقم 4970.

(79) ينظر: الشافعي، أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، ط1، 1358هـ-1940م، 401/1. والحديث: في سنن الترمذي، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، 34/5، ح 2657. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال الألباني: صحيح.

(80) الشافعي،الرسالة، 401/1، ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلة، ص 604.

(81) ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلة، ص 605.

(82) عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أبو عبدالرحمن المكي المدني، صحابي، (ت:73 أو 74هـ). ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، 142/2، العسقلاني، الإصابة، 150/5، رقم 6628.

(83) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب أذان الأعمى، 127/1، ح 617، وصحيح مسلم، كتاب الصيام، باب أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، 768/2، ح 1092.

(84) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط التي لا تحل في الحدود، 191/3، ح 2724.

(85) العسقلاني، فتح الباري، 124/12.

(86) ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلة، ص 609.

(87) وانظر: صحيح مسلم، 66/1، ح 1481.

(88) ينظر: ناصر بن عبدالكريم العقل، الاتجاهات العقلانية الحديثة، دار الفضيلة، الرياض، ط1، 1422هـ-2001م، ص 17.

(89) الأشاعرة: فرقة كلامية إسلامية تنتسب إلى أبي الحسن الأشعري (ت: 324هـ)، الذي خرج على المعتزلة، بدأت أصولها بنزعات كلامية خفيفة، أخذها الأشعري عن ابن كلاب تدور على مسألة كلام الله تعالى وأفعاله الاختيارية،ثم تطورت حت أصبحت فرقة كلامية عقلانية فلسفية. ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: (1/ 83)، د. مانع بن حماد الجهني، الطبعة الرابعة، 1420 هـ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، عدد الأجزاء: 2. الماتردية: فرقة كلامية تنتسب إلى أبي منصور الماتردي (ت: 333هـ)، لهم أصول خالفوا فيها أهل السنة والجماعة. وهم أيضا على خلاف مع الأشاعرة. قامت على استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية في محاججة خصومها من المعتزلة والجهمية. ينظر: الموسوعة الميسرة: (1/ 95). الرافضة والخوارج: فرقتان نشأتا في وقت واحد، ومن منبت واحد لكن كثيرًا من أصولهما وغاياتهما يختلف، اتفقت الخوارج والرافضة على الغلو، واختلفتا في صوره فغلو الخوارج في تشددهم في الدين والأحكام، وغلو الرافضة في الذوات والأشخاص. الرافضة: هم طائفة من الشيعة يسبون الصحابة وهؤلاء ليسوا من السنة في شيء. والخوارج: هم الذين كفّروا مرتكب الكبيرة من المسلمين وخلدوه في النار. وانظر: الملل والنحل: (1/ 113). الفصل في الملل والأهواء: (2/ 113). العصرانية: اتجاه يعمد إلى تطويع أحكام الدين ونصوصه لتوافق حاجات العصر، وعمدتهم في ذلك ما تؤديه إليه عقولهم مما يعتبرونه مصلحة يجب تقديمها بحجة روح الإسلام ومقاصد الدين وضرورياته. الاتجاهات العقلانية الحديثة: ص (17). الموسوعة الميسرة: (2/ 796).

(90) سلمان بن فهد العودة، حوار هادئ مع محمد الغزالي، صدر الإذن بطباعته من الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، رقم 12501/ 5 وتاريخ 9/ 11/ 1409هـ، ص 9.

(91) أطلق على الاتجاهات العقلية مدرسة؛ لأنه يجمعها الوصف والإطار العام لهذا المصطلح (مدرسة)،

فهي مدرسة من حيث: أ- وحدة أصولها ومنطلقاتها العامة. ب-وحدة منهجها ونشأة أساليبها، وإن اختلفت الأشكال والتعابير.ج-وحدة أهدافها وغاياتها الكبرى البعيدة، وإن اختلفت في أهدافها القريبة. فهي بذلك يجمعها الوصف العقلاني والموقف العملي تجاه الإسلام. فهي كالمدرسة بالمفهوم التعليمي الشائع، التي تحوي مجموعات من التخصصات حيث لا يلزم أن كل من فيها على مستوى واحد، وهدف واحد واتجاه واحد، إنما يجمعهم المنهج العام للمدرسة، ولا يمنع هذا أن يكون من بين أفرادها المنحرف الشديد الانحراف، والمعتدل، وبينهما طرائق شتى. ينظر: ناصر بن عبدالكريم العقل، الاتجاهات العقلانية الحديثة، ص 21.

(92) وانظر: الأثري، علي بن حسن بن علي بن عبدالحميد الحلبي، العقلانيون أفراخ المعتزلة العصريون، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ص 51.

(93) يتمثل دور المستشرقين في أن دراساتهم حول الإسلام كان لها الأثر في توجيه العقلانيين، وإمدادهم بكثير من الأفكار والآراء الخاطئة حول الإسلام.

(94) فالح بن محمد بن فالح الصغير، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ص 91-92.

(95) أحمد أمين، فجر الإسلام، لجنة التأليف، ط3، 1354هـ، ص 217، مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، دار الوراق، بيروت، ط3، 1423هـ-2003م، ص 266.

(96) محمود أبو رية، أضواء على السنة النبوية، د.ط.ت، مصر، ص 259.

(97) مجموعة من المؤلفين، محمد رشيد بن علي رضا، مجلة المنار، وغيره من كتاب المجلة، المكتبة الشاملة، مجلد 19، ص 29.

(98) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص 217.

(99) الأمين الصادق الأمين، موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، مكتبة الرشد، الرياض، ص 192/2.

(100) وفي كتاب الدكتور الأمين الصادق الأمين (موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية)، الكثير من أقوال هؤلاء التي تكشف عن موقفهم من أحاديث الآحاد وردهم لها. وانظر كذلك: الأثري، العقلانيون أفراخ المعتزلة، ص 51 وما بعدها.

(101) ينظر: أيمن محمود مهدي، السنة النبوية في مواجهة التحديات والشبهات المعاصرة، ط1، 1426هـ-2005م، ص 63 – 69.

(102) ينظر: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، 35/1، الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، 14/1، ناصر بن عبدالكريم العقل، الاتجاهات العقلانية الحديثة، ص 35.

(103) سورة الأعراف: 12.

(104) سورة هود: 27.

(105) من أبرز من تطاول وتجرأ على الله من علماء المعتزلة: (النظّام ت: 231هـ) كقوله:" أن الله لا يقدر أن يفعل الشر، ولا يقدر أن يظلم أحدًا أصلًا "، إلى غير ذلك من عباراته، وأكثر المعتزلة خالفوه في هذا. ينظر: الأسفراييني، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبدالله البغدادي التميمي أبو منصور، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1977م، ص 115-116.

(106) ينظر: ناصر بن عبدالكريم العقل، الاتجاهات العقلانية الحديثة، ص 40 - 42.

(107) وانظر: عدنان محمد أمامة، التجديد في الفكر الإسلامي، دار ابن الجوزي، الرياض، 1424هـ، ص 364.

(108) يسمى القرن السابع عشر الميلادي في الغرب بعصر التنوير، حيث ركز الفلاسفة آنذاك على تحكيم العقل بدلًا من الاعتماد على (الكتب المقدسة)، وأن العقل وحده يمكنه إدراك الحقيقة مباشرة، وأن العقل بمقدوره أن ينظم حياة الإنسان مع الإنسان ومع الكون، ومن أشهر هؤلاء الفلاسفة: ديكارت، ولوك، وهيوم، وغيرهم، حتى ظهر في القرن الثامن عشر الميلادي ما يعرف بالعقلانية الحضارية التي تعول على العقل أكثر مما تعول على العقيدة في مسألة خلق الإنسان وقدره. وكان فولتير، وتوماس من رموز تلك الحركة.

ينظر: محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبة، ط10، ص 251، الموسوعة العربية العالمية، 335/16، 463/17.

(109) ونورد هنا مقولة لأحدهم يتبين من خلالها مسلكهم وتوجههم، وهو فاروق الدملوجي حيث يقول: "وكان الأشاعرة ومن تمذهب بمذهبهم في أهل السنة والجماعة يلعنون الفلاسفة والمعتزلة، وأهل الفكر ومن يذهب مذهبهم، ويحرقون كتبهم تقربًا للجمهور الجاهل وزلفى إلى الله،... وبهذه الطريقة النكرة انطفأت الآراء الحرة من رؤوس المفكرين؛ فكانت السبب في سقوط العالم الإسلامي من شاهق عزه، ولم يزل منحدرا لا يرتقي "، ويقول: " ولو كان قد انتشر الاعتزال في البلاد الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها لما حصلت هذه النكبات، ولو لم يحصل الارتجاع والانتكاس والجمود على المنقولات لكان العالم الإسلامي غير ما هو عليه اليوم. وغيره كثير من أمثال محجوب بن ميلاد، وأحمد زكي أبو شادي، وزهدي حسن جار الله، وطه حسين، وأحمد أمين. ينظر: ناصر بن عبدالكريم العقل، الاتجاهات العقلانية الحديثة، ص 60 - 63.

(110) المرجع السابق، ص 69 - 70.

(111) وقد نبه كثير من علماء أهل السنة والحديث في الأقطار الإسلامية، وحذروا من خطر المدرسة العقلية المعاصرة ومن شُبهها وخطرها على الدين الإسلامي، ومنهم: العلامة المعلمي اليماني في "الأنوار الكاشفة"، وغيره من مؤلفاته. والدكتور محمد أبو شهبة في "دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين "، وغيره من كتبه. والدكتور ناصر العقل في " الاتجاهات العقلانية الحديثة "، ويعتبر كتابه هذا من أكثر الكتب- التي وجدتها- شمولًا للتعريف بهذه المدرسة.

(112) سلمان بن فهد العودة، حوار هادئ مع الغزالي، ص 10 -11.

(113) والمقصود بحديث الآحاد ما لم يبلغ حد التواتر، كأن يروى من طريق واحد أو من طريقين فقط أو ما أشبه ذلك دون أن يصل إلى حد التواتر، وانظر: التمهيد من هذا البحث.

(114) ينظر: تفسير المنار: (1/ 220)، في تعريفه للوحي: حيث عرفه خلاف ما عرفه به السلف؛ حيث قال: (هو عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من الله بواسطة أو بغير واسطة). تفسير المنار: (1/ 220)، لمحمد رشيد رضا، ط2، 1366هـ-1947 م، عدد المجلدات: 12. الفكر الإسلامي المعاصر دراسة وتقويم: ص52، لغازي التوبة، دار القلم، لبنان، 1977م، الطبعة الثالثة. وللتوسع في ذلك انظر: الكشف المبدي لتمويه أبي الحسن السبكي تكملة الصارم المنكي: ص(66 – 67)، لمحمد بن حسين بن سليمان إبراهيم الفقيه، تحققيق: صالح بن علي المحسن و أبي بكر بن سالم شهال، دار الفضيلة، الطبعة الأولى، 1422 هـ -2002 م.

(115) فمن الكتب التي تحدثت عن هذه المدرسة كتاب الشيخ (محمد البهي) الذي سماه (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي). ومن الكتب التي نقدت هذه المدرسة: (الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية) لأبي الحسن الندوي"، و(الفكر الإسلامي المعاصر) لغازي التوبة، فقد تحدث عن المدرسة الإصلاحية ممثلة في "محمد عبده". وكذلك (مفهوم تجديد الدين) لبسطامي محمد سعيد، و(المدرسة العقلية في التفسير) لفهد الرومي". وكذلك كتابات "محمد محمد حسين" وبالأخص كتاب (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) وكتاب (الإسلام والحضارة الغربية).

(116) ينظر: عدنان محمد أمامة، التجديد في الفكر الإسلامي، ص 365.

(117) ويعتبر الجهل بالعقيدة الإسلامية، وأصول الدين ومناهج السلف من أهم العوامل التي ربطت بين المفكرين المحدثين وبين المعتزلة. وانظر: ناصر بن عبدالكريم العقل، الاتجاهات العقلانية الحديثة: ص 55 - 137.

(118) لم أتمكن من الوقوف على عباراتهم من خلال كتبهم وإنما نقلتها من كتاب:"الاتجاهات العقلانية". وانظر: ص 59 - 65.

(119) انظر: ناصر بن عبدالكريم العقل، الاتجاهات العقلانية الحديثة، ص 87 - 89.

(120) هذا نموذج من جرأتهم على السنة النبوية، وردهم للأحاديث الصحيحة منها. وللمزيد، انظر: الأمين الصادق الأمين، موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، 188/2- 190. والحديث صحيح أخرجه البخاري: كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت، 121/7، ح 5673. ولفظه: عن أبي هريرة ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لن يدخل أحدًا عمله الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: " لا، ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاربوا، ولا يتمنين أحدكم الموت: إما محسنا فلعله أن يزداد خيرا، وإما مسيئا فلعله أن يستعتب ".

(121) مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص 51-52، أيمن محمود مهدي، السنة

النبوية في مواجهة التحديات والشبهات المعاصرة، ص 64-65.

(122) درء تعارض العقل والنقل، 141/1.

(123) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الاعتصام، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط1، 1412هـ - 1992م، 191/1.

(124) مصطفى السباعي، السنة النبوية في مواجهة التحديات والشبه المعاصرة، ص 66.

(125) الجوزي، جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد، الموضوعات، ضبط وتقديم وتحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، محمد عبدالمحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط1، 1386هـ - 1966 م، 106/1، السيوطي، جلال الدين، عبدالرحمن بن أبي بكر، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: أبي قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، 327/1.

(126) مصطفى السباعي، السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص 51- 52.

(127) الأصبهاني، الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة: (509/2).

(128) ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص 165.

(129) عبد الرزاق عفيفي، شبهات حول السنة، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1425هـ ص 15.

(130) ينظر: الأمين الصادق الأمين، موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، 251/2- 254.

(131) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه، 130/4، ح 3320.
سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في الذباب يقع في الطعام، 365/3، ح 3844).
سنن ابن ماجة: كتاب الطب، باب يقع الذباب في الإناء، 1159/2، ح 3505. وكلها من رواية عبيد بن حنين عن أبي هريرة. وعبيد بن حنين أبو عبدالله المدني، روى عن أبي موسى وزيد بن ثابت وطائفة، وعنه أبو الزناد ويحيى بن سعيد، ثقة قليل الحديث. ينظر: الجرح والتعديل، 404/5، الكاشف، 237/2، تهذيب التهذيب، 63/7، تقريب التهذيب، 542.

(132) أبو سعيد الخدري: سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصارى، صحابي، (توفي سنة 63 أو 64 أو 65هـ وقيل 74هـ بالمدينة). من أصحاب الشجرة، فقيه نبيل. ينظر: الكلاباذي، الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، 302/1، رقم 419. القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ - 1992 م، 1671/4، رقم 2997.

(133) النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي، سنن النسائي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ط 2، 1427هـ- 2007 م، باب الذباب يقع في الإناء، 178/7، ح 4262. وقال الألباني: صحيح.

(134) الصنعاني، أبو بكر عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1403هـ، 89/1، ح 298.

(135) الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، المكتب الإسلامي - مؤسسة الإشراق، ط2، 1419هـ - 1999م، ص 334 -335.

(136) فقال بأصبعه: قال ابن الأثير: العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال وتطلقه على غير الكلام؛ فتقول "قال بيده" أي أخذ، و"قال برجله" أي مشى. وانظر: ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ - 1979م، 124/4.

(137) اللقوة: داء في الوجه، يشل بعض عضلاته. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 253/15، المعجم الوسيط، 836/2.

(138) سورة النحل: 68.

(139) سورة النحل: 69.

(140) سورة الزلزلة: 4-5.

(141) الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبدالملك بن سلمة الأزدي، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، 1415هـ، 1494م، 342/8.

(142) ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني، المسند، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، 1414هـ-1994م، 124/12-129، ح 7141.

(143) الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، المطبعة العلمية، حلب، ط1، 1351هـ - 1932م، 258/4.

(144) هذا وقد تناول أمين محمد سالم حديث الذباب بالدراسة فأجاد وأفاد. وانظر: أمين محمد سالم، حول حديث الذباب، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الرابعة عشرة العدد الثالث والخمسون المحرم، صفر، ربيع الأول 1402هـ، ص 43-56.

(145) ينظر: محمد محمد أبو شهبة، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، مجمع البحوث الإسلامية، ط2، ص 192.

وهناك بحث قد ذكره الدكتور/ محمد محمد أبو شهبة في كتابه (دفاع عن السنة)، والدكتور/محمد بكر إسماعيل في (الفقه الواضح)، نقلًا عن مجلة الأزهر رجب 1378هـ يناير 1959م، وقد أجرى البحث الدكتور/محمد عبدالمنعم حسين، تحت عنوان كلمة الطب في حديث الذباب، قال: إنه في سنة 1947م عزل (موفتيس) مواد مضادة من مزرعة الفطريات الموجودة على جسم الذبابة ووجد أنها ذات مفعول قوي على بعض الجراثيم السالبة مثل جراثيم التيفود، ولمقاومة الجراثيم التي تسبب أمراض الحميات التي يلزمها وقت قصير للحضانة، ووجد أن جراما واحدا من هذه المواد المضادة يمكن أن

يعقم أكثر من 1000 لتر لبن من التلوث بالجراثيم المرضية، وهذا أكبر دليل على القوة الشديدة لمفعول هذه المواد.

(146) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، الطب النبوي (جزء من كتاب زاد المعاد لابن القيم)، دار الهلال، بيروت، ص 258.

(147) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله، نيل الأوطار، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط1، 1413هـ - 1993م، 77/1.

(148) الألباني، أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 96/1، ح 38.

(149) المُشَاطَةُ: مَا يَخْرُجُ مِنَ الشَّعَرِ إِذَا مُشِطَ، وَالمُشَاقَةُ: مِنْ مُشَاقَةِ الكَتَّانِ. ينظر: النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ، 177/14.

(150) بئر ذروان: وهي بئر بالمدينة في بستان بني زريق. النووي، المنهاج، 177/14.

(151) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب السحر، 136/7، ح 5763، صحيح مسلم، باب السح، 1719/4، ح 2189.

(152) راعوفة: هي حجر يوضع على رأس البئر يقوم عليه المستقي وقد يكون في أسفل البئر أيضا يجلس عليه من يقوم بتنظيفها. تنشرت: هي تعيين من سفيان بن عيينة لمرادها بقولها أفلا. ومعناها من النشرة وهي الرقية التي تحل السحر، فكأنها تنشر ما طواه الساحر وتفرق ما جمعه. ينظر: صحيح البخاري، شرح وتعليق مصطفى البغا، 137/7.

(153) صحيح البخاري، باب هل يستخرج السحر؟، 137/7، ح 5765.

(154) الدينوري، تأويل مختلف الحديث، ص 262.

(155) سورة الفرقان: 8 - 9.

(156) سورة الإسراء: 47 - 48.

(157) محمد محمد أبو شهبة، دفاع عن السنة، ص 33، المعلمي، الأنوار الكاشفة، ص 154.

(158) وانظر: التمهيد من هذا البحث.

(159) العسقلاني، فتح الباري، 227/10.

(160) العسقلاني، فتح الباري، 227/10.

(161) العسقلاني، فتح الباري، 226/10.

(162) سورة الإسراء: 47.

(163) ينظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، 223/2.

(164) ينظر: الأمين الصادق الأمين، موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، 214/2.

(165) ليقربن وليسرعن.

(166) عادلًا.

(167) يرفعها ولا يقبل من الناس إلا الإسلام وإلا قتلهم.

(168) يكثر ويستغني كل واحد من الناس بما في يده.

(169) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب قتل الخنزير، 82/3، ح 2222.

(170) أن تتأكدوا من معنى وصدق ما أروي. ينظر: العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 28/13، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام، 168/4، ح 3448.

(171) سورة النساء: 159.

(172) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم، 168/4، ح 3448، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ، 135/1، ح 155.

(173) حذيفة بن أسيد الغفاري: يُكْنَى أَبَا سَرِيحَةَ وَأَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، الْحُدَيْبِيَةُ وَقَدْ رَوَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَنَزَلَ الْكُوفَةَ بَعْدَ ذَلِكَ. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، 26/4، ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ - 1994 م، 2922/5.

(174) صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، 2225/4، ح 2901.

(175) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم، 137/1، ح 156.

(176) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، 39/16.

(177) أبو جمعة الأنصاري: أو الكناني، أو القاري، يقال اسمه حبيب بن سباع، ويقال جنبذ بن سبع، سكن الشام ثم مصر، صحابي (ت: بعد 70هـ)، روى له: رضي الله عنه (البخاري في خلق أفعال العباد).
ينظر: القرطبي، الاستيعاب، 322/1، رقم 474، العسقلاني، الإصابة، 56/7، رقم 9695.

(178) الطبراني، المعجم الكبير، 23/4، ح 3540. وقال الألباني: وهذا إسناد جيد. ينظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، 906/7، ح 3310.

(179) عبد الرحمن بن يزيد بنِ قَيْسٍ النَّخَعِيُّ الإِمَامُ، الفَقِيْهُ، أَبُو بَكْرٍ النَّخَعِيُّ، أَخُو الأَسْوَدِ بنِ يَزِيْدَ. وَثَّقَهُ: يَحْيَى بنُ مَعِيْنٍ، وَغَيْرُهُ. مَاتَ: بَعْدَ ثَمَانِيْنَ، وَقَدْ شَاخَ. ينظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ - 1985 م، 78/4، رقم 24.

(180) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبدالرحمن صاحب رسول الله ﷺ، من السابقين الأولين، (ت:32 أو 33هـ) بالمدينة. ينظر: القرطبي، الاستيعاب، 987/3، رقم 1658، العسقلاني، الإصابة، 198/4، رقم 4970.

(181) سورة البقرة: 2.

(182) سورة البقرة: 3.

(183) الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411 - 1990، 286/2، ح 3033. قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ». ووافقه الذهبي قال: على شرط البخاري ومسلم.

(184) ومن القائلين بذلك الشيخ محمد رشيد رضا. وانظر: الأمين الصادق الأمين، موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، 215/2. عن مجلة المنار، المجلد 10، ص145 -246.

(185) الأمين الصادق الأمين، موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: (216/2). عن مجلة الرسالة، العدد 514، 6 جمادي الأولى 1362هـ/10 مايو 1943 م، السنة الحادية عشرة ص365. وانظر: رد الإدريسي على محمود شلتوت بما يفحمه في كتابه: إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان أو إبطال ما قيل من الخيالات والأوهام في حديث نزول عيسى عليه السلام: لعبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني الإدريسي، مطبعة الإخوان المسلمين، بميدان الحلمية الجديدة بمصر.

(186) سورة آل عمران: 55.

(187) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ، 238/3.

(188) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000 م، 455/6.

(189) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 322/4 - 323.

(190) سورة النساء: 157-158.

(191) سورة النساء: 159.

(192) سورة الزخرف: 61.

(193) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 631/21.

(194) سورة آل عمران: 46.

(195) وقد فصلت هذه المسألة في التمهيد.

(196) الدارمي، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب

الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م، 156/1.

(197) وقد نص على تواتر الأحاديث في نزول عيسى عليه السلام جماعة من العلماء منهم: الشوكاني في كتاب له بعنوان: "التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح". والكتاني في كتابه: "نظم المتناثر من الحديث المتواتر"، وصديق حسن خان في كتابه "الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة". والشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند. والغماري في كتابه "عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام"، والألباني في تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز وغيرهم.

(198) الطبري، جامع البيان، 458/6.

(199) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 217/7.

(200) وانظر: حديث أبي هريرة في نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان (رواية ودراية)، ص (108) وما بعدها، د.إسماعيل سعيد رضوان، مجلة البحوث الإسلامية، المجلد الثامن، العدد الثاني، الجزء الأول، يونيو 2000م.

(201) ينظر: ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد الجماعيلي المقدسي، لمعة الاعتقاد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط2، 1420هـ - 2000م، ص 30.

(202) ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص 564.

(203) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 329/4.

(204) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 75/18.

(205) الأصبهاني، الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، 509/2.

(206) فاطمة بنت قيس: فاطمة بنت قيس بن خالد القرشية الفهرية، أخت الضحاك بن قيس، صحابية مشهورة من المهاجرات، عاشت إلى خلافة معاوية. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، 273/8، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 319/2، رقم 60، العسقلاني، الإصابة، 276/8، رقم 11608.

(207) تَمِيْم بن أوس الدَّارِيُّ: أَبُو رُقَيَّةَ بنُ أَوْسِ بنِ خَارِجَةَ، صَاحِبُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ أَبُو رُقَيَّةَ تَمِيْمُ بنُ أَوْسِ بنِ خَارِجَةَ بنِ سَوْدِ بنِ جَذِيْمَةَ اللَّخْمِيُّ، الفِلَسْطِيْنِيُّ. وَالدَّارُ: بَطْنٌ مِنْ لَخْمٍ، وَلَخْمٌ: فَخِذٌ مِنْ يَعْرُبَ بنِ قَحْطَانَ. وَفَدَ تَمِيْمٌ الدَّارِيُّ سَنَةَ تِسْعٍ، فَأَسْلَمَ، فَحَدَّثَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ بِقِصَّةِ الجَسَّاسَةِ فِي أَمْرِ الدَّجَّالِ. وَلِتَمِيْمٍ عِدَّةُ أَحَادِيْثَ، وَكَانَ عَابِدًا، تَلاَّءً لِكِتَابِ اللهِ. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، 408/7، القرطبي، الاستيعاب، 193/1، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 422/2، رقم 86.

(208) الجساسة: يَعْنِي الدَّابَّة الَّتِي رَآهَا فِي جَزِيرة البَحْر، وَإِنَّمَا سُمّيت بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَجُسُّ الأَخْبار للدَّجال. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 272/1.

(209) صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب قصة الجساسة، 203/8، ح 2942.

(210) النووي، المنهاج، 142/1. وانظر ترجمته: العسقلاني، الإصابة، 368/1، العسقلاني، فتح الباري، 46/12.

(211) محمود أبو رية، أضواء على السنة المحمدية، ص 140 - 141.

(212) العسقلاني، فتح الباري، 328/13.

(213) العسقلاني، فتح الباري، 323/13.

(214) سورة النمل: 82.

(215) ينظر: النووي، المنهاج، 58/18.

(216) ينظر: العسقلاني، فتح الباري، 366/4.

(217) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبدالكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، ط7، 1419هـ - 1999م، 75/1.